

عزالبيوت وقرفاقتهم في جَنَّةِ آدَمَ

١٨٨٣ - ١٩٠١

(دراسة وثائقية)

دكتور
لطيفة محمدي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب — بنها

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة



عزّاجيّ وقرفاقية

في

جَنَّةِ آدَمَ

التي هي العامة لمكتبة الاسكندرية

١٨٨٣ - ١٩٠١

(دراسة وثائقية)

م. ا. ق. : ٧٤ - ٩٥٢

س. ا. : ع

م. ن. س. ج. ب. : ع

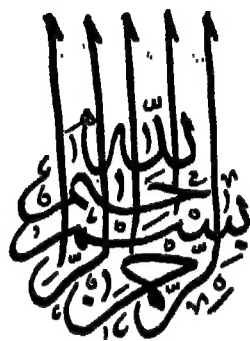
دكتورة

لطيفة محمد سالم

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب - بنها

الناشر

مكتبة الانجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة



المقدمة

فى عام ١٩٨١ احتفل بالعيد المئوى للثورة العربية ، فصدر مؤلفى عن « القوى الاجتماعية فى الثورة العربية. » ، وأعيد طبع بعض المؤلفات الخاصة بالثورة والتي سجلت أحداثها ، وأقيمت ندوة نظمها جامعة عين شمس مع المجلس الأعلى للثقافة ألفت فيها بحوث تغطى جميع جوانب الثورة واشترك فيها باحثون من داخل مصر وخارجها ، كما تولت أجهزة الاعلام مهمتها تجاه هذه المناسبة . وفى وسط هذا المناخ عرض على بساط البحث أن أحدا لم يتناول حياة عرابى ورفاقه — محمود فهمى ، يعقوب سامى ، طلبة عصمت ، عبد العال حلمى ، محمود سامى ، على فهمى — فى المنفى ، فلم تصدر عنها أية دراسة أكاديمية ، وانما هناك بعض المعلومات التى تباثرت هنا وهناك وتحتاج الى تحقيق وتمحيص وتدقيق وتوثيق ، ومن ثم لاح بخاطرى أن أتولى هذه المهمة ، خاصة بعد أن أيقنت ما للدراسة من أهمية وكيف أن المكتبة التاريخية تفتقر اليها ، ووضعت ذلك فى الاعتبار ، لكنى لم أنفذه لقوه .

وشاعت الظروف أن أحصل على مهمة علمية لانجلترا ، وأثناء بحثى فى فهارس وثائق وزارة الخارجية البريطانية فى موضوعات أخرى تتعلق ببعض مؤلفاتى اذ أجد نفسى أمام مجلدات تحمل عنوان : « المنفيون المصريون فى سيلان ، عرابى ورفاقه » ، Egyptian Exiles in Ceylon, Arabi & Companions. ، وعلى الفور بدأت بالعمل فيها حيث مثلت صلب الدراسة ، هذا بالإضافة الى بعض الوثائق التى عثرت عليها متفرقة فى ثنايا مجلدات أخرى ، واستكمالا للخط المتبع ، أجريت البحث فى الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلمة ، كما تتبعته

الخطابات من مصادرها المختلفة ، وعايشت المذكرات ، وأطلعت على الدوريات ، وذلك حتى تتضح الرؤية من جميع جوانبها لتلك الدراسة الوثائقية التي حركت دوافعي إليها قيمتها والحاجة إليها ، ومن هنا جاءت أهميتها وخرجت إلى حيز الوجود لتحتل المكان الذي ينتظرها .

وتناولت الدراسة أربعة فصول تشابكت وتعانقت لتعكس الواقع الذي عاشه المنفيون غرباء عن وطنهم ، بعيداً عن أهلهم ، فهي تلتقط الخيوط من حيث انتهى المؤرخون لتتسج بها صورة دقيقة أبرزت فيها المعالم الرئيسية ، في الوقت الذي لمست فيه الدقائق التي ربما تغيب عن العين . وتتبع الفصل الأول « الطريق إلى المنفى » خطاً عرابياً ورفاقه صوب هذا الطريق ، والاتجاهات المصرية والبريطانية نحو العقوبة وكيف تحول مجراها من الإعدام إلى المنفى ، وتعدد الآراء حول مكانه إلى أن رسا المطاف على جزيرة سيلان التي هي معروفة أيضاً بسرنديب وجنة آدم — حالياً سرى لانكا — والاعداد للسفر والعقبات التي صادفتها والتعليمات البريطانية للجزيرة ، ورحيل المنفيين عن مصر ووصولهم إلى كولومبو واستقبالهم والفترة الأولى لاقامتهم . وتضمن الفصل الثاني « العلاقة مع بريطانيا » سياسة الحذر التي انتهجتها بريطانيا حيث مضت العيون تلاحقهم والتحركات تحسب عليهم والتحكم يعوقهم ، والنظام الذي خضعت له مراسلاتهم ، وانكسار سياسة العزلة عن طريق المراسلات واللقاءات ، والصلات بالشخصيات البريطانية سواء المسؤولين أو غيرهم بهدف الحصول على المساعدة للعفو عنهم وإطلاق سراحهم وعودتهم لمصر ، وتلك الجهود التي قامت بها هذه الشخصيات .

ووضح الفصل الثالث « الحياة في جنة آدم » حالة المنفيين المالية وحاجتهم وفاقتهم وشكاواهم وموقف لندن ، ورغباتهم الشخصية بشأن احضار ذويهم ومعاكساتها ، ونتيجة الظروف الصعبة عطلت علاقاتهم واتسع دائرة الخلاف بينهم ، وتوصلاتهم للخروج من الجنة

— ٧ —

الى مكان آخر يتفق مع صحتهم أو عودتهم لوطنهم بعد تمكن الأمراض منهم ، ومعارضة الحكومة المصرية وتشددتها وتعنتها واتجاه السياسة البريطانية ، واستمرار المساعي وتكثيفها خاصة بعد تساقط عبد العال حلمي ومحمود فهمي ، والتحركات في لندن والقاهرة • ويبين الفصل الرابع « الخلاص » مراحل نهاية الطريق ، وعودة طلبة عصمت لمصر لانحدار صحته كحالة اضطرارية ، وتدهور صحة باقى المنفيين ، ووفاة يعقوب سامى ، والسماح لمحمود سامى بالرجوع الى وطنه نتيجة لما أصابه ، ومواصلة المجهودات من أجل العودة الأخيرة لعرابي وعلى فهمي والتي نجحت لتدخل ولى عهد بريطانيا ، ووداع الجزيرة لعرابي وما وجده من عواطف جياشة تجاهه نظرا لاعتبارات متعددة ، ووطء أقدامه أرض مصر والملابسات التي ارتبطت بها • وتنتهى الدراسة بالخاتمة حيث تسجل النتائج التي توصلت اليها ، والأمل معقود على أن تحقق الهدف الذى وضعت من أجله •

والله ولى التوفيق

بناها فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٦ •

د • لطيفة محمد سالم

الفصل الأول

الطريق الى المنفى

يمثل الطريق الذي اجتازه عرابى ورفاقه عقب الانكسار مرحلة بالغة الصعوبة ، واجهوا فيها الشقاء والعذاب والمعاناة حتى استقر بهم المقام فى مفاهم الذى أختير لهم ، وكان عليهم أن يؤمنوا بقدرهم ويستسلموا له بعد أن غلبوا على أمرهم ومنوا بالهزيمة •

لقد تكاثفت القوى المضادة للثورة العرابية على أجهاضها ، ونجحت فى تنفيذ مخططاتها ، وأصبح مصير القادة الثوار فى يدها ، وكان لابد من التوافق فى الآراء بينها • وشكل الجانب المصرى الذى يضم الخديو ومعاونيه صورة واضحة ارتسم عليها الحقد والضغينة والرغبة فى الانتقام بأقصى درجاته ، وصدر الأمر الخديوى بتأليف لجان التحقيق ، وتم استجواب عرابى ورفاقه أمامها ، الذين ألبسوا تهمة العصيان ، ودخل تحته التعدى على الخديوية ، وأنشئت المحكمة العسكرية حيث حولت إليها قضايا المتهمين ، وكانت رغبة المسؤولين ملحة فى انزال أقصى العقوبة بهؤلاء الثوار •

أما الجانب البريطانى فقد تخلله أكثر من اتجاه ، لكنه انصب فى النهاية داخل تيار واحد يتفق مع المصلحة ، ففى البداية مثل جلاستون Gladstone رئيس الوزراء ووزير خارجيته وجهة النظر الرامية الى اعدام عرابى عن طريق الخديو بناء على محاكمة شكلية عن الأخطاء التى ارتكبت على مدار الأشهر الستة الأخيرة (١) • وكذلك اعتمادا على أن عصيان سلطة الخديو خيانة كبرى جزاؤها الموت العاجل ، ووجد هذا الاتجاه بعض التأييد من الصحافة البريطانية ، لكنه سرعان ما تراجع أمام اتجاه آخر نبع من المعارضة فى البرلمان ، وأسهم فيها حزب الأحرار ، كما وجه صحافته للدفاع عن عرابى واعتباره من أبطال الحرية ، هذا بالإضافة الى أن رؤية الرأى العام البريطانى للثورة وزعيمها جعلته يطالب بمحاكمة عادلة ، وأخيرا تلك

التقارير التي توافدت على لندن من درة التاج البريطانى وأشارت الى التفاعل الاسلامى تجاه المحاكمة منوهة الى ضرورة قياس الأبعاد وانعكاساتها على هذه المنطقة (٢) . كل ذلك جعل محاكمة قادة الثورة تغير مسارها . والواقع أن الحكومة البريطانية كان لابد لها من سند تتكىء عليه لتبرر احتلالها لمصر ، ومن ثم تطلب الأمر حصولها بأية وسيلة على الاعتراف من هؤلاء القادة بالعصيان .

وبطبيعة الحال انزوى اتجاه الخديوى ومؤيدوه جانبا أمام الاتجاه البريطانى ، وفى ذلك الوقت كثف بلنت Blunt نشاطه وحمل على عاتقه مهمة الدفاع عن القادة الثوار ، فكلف المحامين برودلى Broadley ونابيير Napier بالسفر الى مصر لتولى المهمة ، وتحمل النفقات ، فدفع جزءا وجمع جزءا آخر عن طريق اكتتاب بعض الانجليز (٣) . وفى اطار السياسة البريطانية يغير برودلى من خطة دفاعه التى كان قد رسمها على أن عرابى دخل الحرب بموافقة الخديو والسلطان ، وأنه من الوجهة القانونية لم يكن عاصيا ، أما من الوجهة الأدبية فان اخفاقه وحده هو الذى يعطيه تلك التسمية ، فتبدل هذا لارتباط الحكومة البريطانية بعصيان حقيقى ، فاذا اعترف به صراحة لا يهمها شئ بعد ذلك ، وعليه زال الخطو الذى كان يهدد عرابى ورفاقه وصارت القضية صورية بحثه .

ودارت المراسلات بين بلنت وبرودلى وانحصرت فى نوعية العقوبة التى سيقع عرابى تحت طائلتها ، ويقترح بلنت تدخل دفرن Dufferin (٤) ، للحصول على موافقة زعيم الثورة لنفيه الى جزر آدامان Adaman — تقع فى خليج البنغال بالهند — أو فى أى جزء من الامبراطورية البريطانية ، وأن يعامل على أنه مسجون سياسى وتستعمل معه الرأفة ، وأن يبذل الجهد فى توضيق معاناته ، ويصر بلنت على اقضاء سلطة الخديوى والوقوف أمامه عند مجادلته فى اصدار

مرسوم النفى ، ويعارض أن يكون له أو للسلطان حق تحديد مكان النفى ، كما يرفض استمرار عرابى فى السجن ^(٥) . ويعود لبيين ضرورة اختيار منفى محترم لا معتقل ، ويعدد بعض الأماكن مثل عدن ومالطة وقبرص ^(٦) .

ويأتى رد برودلى على بلنت يعلمه فيه أنه استلم توكيلا كتابيا من عرابى يعطيه حق التصرف مع دفن ، وأن الأخير اقترح أن ينظم عرابى من كونه مذنبا ، ويشير المحامى الى جزر أزورس Azores - تقع غرب أسبانيا فى المحيط الأطلنطى - ويطلب منه التفاهم مع الخارجية البريطانية على اعتبار أنها مكان مناسب للنفى ^(٧) . ثم يعود وينقل له وجهة نظره بشأن الاتصال بشخصية دلاور De La Warr - أحد أعضاء مجلس اللوردات وصاحب ميول طيبة تجاه العرب - والتفاوض معه على تحديد مكان النفى ، ويعرض عليه جزر فيجى Fiji - تقع شمال استراليا بالمحيط الهندى - كمكان آخر للنفى ^(٨) . وبالفعل يجرى بلنت مشاورته مع دلاور ، ويوسع اتصالاته ويتباحث مع تشنرى Chenery - محرر صحيفة التايمز - ويبحث الى برودلى ببرقية ليبلغه بمعارضة الجزر المقترحة والاصرار على بلد اسلامى ليقصده المنفيون ^(٩) .

وفى تلك الأثناء تعددت لقاءات برودلى مع عرابى ورفاقه ، الذين انغرس فى داخلهم الاحساس بأن مخالبا أعدائهم تقترب منهم لتنهشهم وتودى بحياتهم ، وأن اليد المنقذة لهم من مصيرهم المحتوم الذى ينتظرهم تتمثل فى بريطانيا ، وأمر طبيعى أن الهزيمة والانكسار يتركنا أسوأ البصمات على الثوار ، وغالبا ما يتحولون عن مسارهم ومبادئهم ، خاصة وأن شعور الخريف من جبل المشنقة طغى عليهم ، ومن ثم تغيرت رؤيتهم لدولة الاحتلال ووجدوا فيها طوق النجاة . ويكتب عرابى لبلنت ليعبر عن رغبته فى أن يعيش حرا مع أطفاله فى دمشق بعيدا عن الحياة السياسية ، وفى حالة رفض السلطان أو المسلمين

بالشام ، فانه يفضل الإقامة فى لندن « بين اخواننا الذين يراء
 حقوق الانسان أعيش رجلا حرا فى أرض الحرية دون أن أكون متحد
 على أو تحت الرقابة » ويشير الى رفاقه الذين ضحوا بأنفس
 فى سبيل حب بلادهم ، وأنهم يريدون أن يعيشوا هم الآخر
 أحرارا ، ويقسم بشرفه ألا يتدخل فى الأمور السياسية عندما يذ
 فى بلد بعيد عن بلده « حتى يأتى الله أمرا كان مفعولا » (١٠) * و
 تكن لتتحقق رغبة عرابى ، وحتى عندما مال فى النهاية الى الكاب
 رأس الرجاء الصالح — رفض دفرن الذى اعتمد على رأيه فى اخت
 المكان ، ورغم ذلك فقد بعث بلفت ببرقية الى برودلى يطرح من جد
 بعض الأماكن التى تمثلت فى جبل طارق وجزيرة جيرنزي uernesy
 — احدى الجزر البريطانية فى بحر المانش — وطلب منه التشاور
 عرابى بشأنها (١١) *

واستكمالا للشكل أصدرت المحكمة العسكرية حكمها بالقصاص
 فى ٣ ديسمبر ١٨٨٢ على عرابى ورفاقه بعد أن وجهت لهم تهمة العصيان
 وبعد اعترافهم بالخيانة ، وذلك بناء على المادة ٩٦ من القانون العسكر
 العثماني والمادة ٩ من قانون الجنايات * واستتبع الحكم صدور الا
 العالى الخديوى مساء نفس اليوم ، وبمقتضاه حل حكم النفى المؤ
 على عرابى من مصر وملحقاتها مكان حكم الاعدام ، وان ييطل هـ
 العفو ويسترجع الحكم الأصل فى حالة عودته الى أرض الوطن ، وص
 نفس العفو على رفاق عرابى تباعا (١٢) * وجرى المحكوم عليهم من الر
 والنياشين والألقاب ، ومن الطريف أنه صدر الأمر باقصائهم من الجين
 الذى لم يكن له وجود بعد حله عقب دخول الجيش البريطانى القاهرة
 وصودرت أملاكهم التى بلغت مساحات كبيرة من الأراضى ، وشكا
 فيها ممتلكات عرابى ومحمود سامى الركيزة الأساسية ، وأشهر ببيع
 حيث خصصت أثمانها لسداد التعويضات الخاصة بحوادث الحقب
 الأخيرة ، وكذلك ممتلكاتهم من المنازل والحلى ، وحرم على المحا

الشرعية أن تسمع أو تحكم فيما رفع أو يرفع إليها من الدعاوى فى شأن تلك الأملاك ، ووقع عليهم الحرمان من الحقوق المدنية والميراث (١٣) .

وقبل عرابى ورفاقه الأمر الواقع ، وأظهروا ترحيبهم بالحكم الصادر عليهم وامتنالهم له ، ولم يتباطأوا فى تسليم دفرن تعهدهم ، فقدم كل واحد منهم ورقته التى تعهد فيها بصفته رجلا عسكريا أن يقيم فى المحل الذى تعينه الحكومة ، وأعطى كلمة شرف بذلك ، ثم اشترك الجميع فى تعهد جماعى ، ولم ينس أحد منهم أن يوجه شكره الى المبعوث البريطانى (١٤) . ويصور برودلى انطباعاتهم ، ويسجل كلماتهم التى عبرت عن الأمل فى مصر والثناء على بلنت والثقة فى بريطانیا (١٥) . وبعد مزيد من المباحثات والمناقشات والمجادلات الطويلة ، تم الاتفاق واستقر رأى البريطانى على تحديد مكان النفسى حيث وقع الاختيار على جزيرة سيلان Ceylon (١٦) ، اذ جمعت المواصفات المطلوبة خاصة تلك المكانة التى تحتلها فى قلوب المسلمين ، فهى الأرض التى وطأت عليها قدم آدم فور خروجه من الجنة . وحمل برودلى أطلسا صغيرا وصحب معه زميله بيمان Beaman وذهبا الى السجن لتبليغ عرابى ورفاقه بالنبا ، ويذكر برودلى أن عرابى استقبله بابتسامه ، واعتبر ذلك شرفا كبيرا ، وراح يشيد بتلك الجزيرة باعتبارها جنة آدم (١٧) .

وخضعت الحكومة المصرية للتوجيهات البريطانية ، واستقال مصطفى رياض ناظر الداخلية احتجاجا على الرأفة بالقادة الثوار ، وتولى منصبه اسماعيل أيوب الذى أبلغ رغبة الحكومة لبرودلى فى تفرقة المحكوم عليهم بالنفسى فى أكثر من مكان ، واقترح وضع أربعة فى سيلان وثلاثة فى هونج كونج Hong Kong (١٨) . والواقع أن الخارجية البريطانية لم تكن تعتبر سيلان مقر الإقامة النهائية ، بمعنى أنها وضعت فى الاعتبار امكان تغيير المكان بعد مرور بعض من الوقت ، هذا بالاضافة الى

أنها حرصت على التعرف على وجهة نظر الحكومة المصرية عن طريق دفرن ، وعندما علمت بها لم تعارض التقسيم المقترح ^(١٩) . أيضا وكلت للمبعوث البريطانى دراسة الموقف والتصرف وفقا للظروف ، وأبلغت ذلك لوزارة المستعمرات ^(٢٠) . ولكن لعب برودلى دوره فى هذا الصدد وبين أن مثل هذا العمل سيخلق الصعوبات ، وعارض بشدة التنفيذ ، وبذل المجهودات ، وبعد مفاوضات أحبط المسعى ، واستبعدت تلك المسألة ، ومما يذكر أن أصحاب الشأن لم يصل الى أسماعهم ما كان يخطط لهم ^(٢١) . وقد كان الحرص واضحا على عدم الرغبة فى تجميعهم حتى أثناء محاكماتهم .

وشكلت مسألة المرافقين للمنفيين صعوبة ، وبالرغم من أن الخارجية البريطانية أشارت لوزارة المستعمرات بأنها ستكون صاحبة القرار فى هذا الشأن ، إلا أنها بعثت الى دفرن تسأله عن عدد الذكور والاناث ومدة البقاء المقررة لهم من الحكومة المصرية ^(٢٢) . وأسرع برودلى الى السجن والتقى بعراىى ورفاقه وبين لهم أن الوقت قصير ولا بد من السرعة فى تجهيز القوائم الخاصة بالأشخاص الذين يقترحون اصطحابهم معهم ، وحمل رغبتهم الى ناظر الداخلية ، فاعترض على العدد وطلب اختصاره بحيث لا يصطحب أى منهم معه أكثر من ذكر وأنثى كخدم ، جاء ذلك بناء على توجيهات دفرن الذى دهش عندما علم أن العدد وصل الى ١٣٠ شخصا ، وقدر ما يمكن أن تتحمله الحكومة المصرية من تكاليف السفر حيث يتطلب الأمر باخترتين ، ورأى الاكتفاء بالأقرباء الضروريين مثل الزوجات والأبناء والأخوات وتقليل عدد الخدم ^(٢٣) . ومن ثم عاد برودلى بقوائم جديدة وناشد اسماعيل أيوب فيما يختص بالأغوات ^(٢٤) . وتمت الموافقة وكتب دفرن الى جرانفل Granville وزير الخارجية مبينا التسهيلات التى منحت للمنفيين فى هذا الشأن ^(٢٥) . وصحب معظمهم أولاده وحريمه ما عدا محمود سامى الذى لم يرافقه سوى ثلاثة من خدمه ، حيث رفضت زوجته السفر

معه (٢٦) • وأبلغ المنفيون بأن من يتخلف من المرافقين لن تتولى الحكومة المصرية تسفيره على نفقتها وانما يكون على حسابه ، واستثنى عرابى من هذا القرار اذ كانت الظروف المرضية لزوجته لا تسمح لها بالسفر حين حل ، وأذن لها باللاحاق به وقتما تشاء (٢٧) •

• وسمح لعرابى ورفلقة ببيع خيولهم وعرباتهم ، وتراوحت قيمتها بين ٧٠٠ — ٨٠٠ جنيه ، كما باعوا بعض الممتلكات الأخرى فى حدود نفس المبلغ ، وأذن لهم بنقل بعض المفروشات والأثاث ، ومما يذكر أنه لم يتخذ أى قرار بصدد حرمان زوجات المنفيين من متعلقاتهم ، ومع ذلك فقد تعرضت الحكومة لجزء من ممتلكات بعضهن ، ويسجل دفرن للندن أنه أسدى النصح للحكومة المصرية أن تبدى التسامح الذى تتطلبه الانسانية تجاه المذنبين ، وألا تتخذ ضدهم اجراءات تشعرهم بالحسرة والغضب ، وأنه سأل محمد شريف رئيس النظار عن السبب فى حرمانهم من ساعاتهم ، وعليه أصدر أمره بردها اليهم (٢٨) • ومما لا شك فيه أن النصائح وضعت — الى حد كبير — فى الاعتبار ، ولم تقدم الحكومة على أية اجراءات تعسفية ضدهم حتى غادروا البلاد •

ورغب المنفيون فى السفر جماعة لا فرادى ، ورأى البعض منهم الكتابة للحكومة عن طريق برودلى لابداء هذه الرغبة على أساس أن ذلك يمثل سعادتهم وراحتهم ، كما سجلوا شكرهم للخديو ، وأشادوا باتجاهه الطيب نحوهم ، وبأنهم لن ينسوا معروفة أبد الدهر وسيصلون من أجل رفاهيته ، وختم على الخطاب اثنان منهم ، وعندما عرض على عرابى رفض التوقيع وقال انه يفضل أن يقطع اربا ، وصرح بأن توفيق غير صالح ليكون حاكما على المصريين ، وأمسك بالقلم وكتب خطابا وقع عليه الجميع ورفع الى برودلى ، وطلب فيه تبليغ الحكومة باتمام الوعد الذى بينهم بالسفر جميعا مع مرافقيهم على نفس الباخرة الى المحل المعين لاقامتهم ، وحمل الخطاب الشكر لها على ما أجرته وما ستجريه

لراحتهم فى السفر (٣٩) * واستقر الرأى على أن يبجز المنفيون ومن يصحبهم على الباخرة ماريوتيس Mareotis الانجليزية لتقلهم الى كولومبو ، ويذكر دفرن لوزير الخارجية البريطانية أنه سيكون هناك ضابط انجليزى فى خدمتهم (٣٠) *

وراحت لندن تعد العدة بشأن اقامة المنفيين ، وفى البداية عرضت الخارجية البريطانية على وزارة المستعمرات اقتراح نزولهم فى الفندق الشرقى الجديد مؤقتا ، ثم وكل الأمر لدربى Derby وزير المستعمرات ليتصل بحكومة سيلان لتدبير الأماكن اللازمة لهم (٣١) * وفى نفس الوقت صدرت التعليمات الخاصة بالتعامل معهم ، فأبلغت الخارجية البريطانية وزارة المستعمرات العمل على حسن استقبالهم وتوفير سبل راحتهم ، والسماح لهم باختيار مساكنهم وعدم تقييد حركتهم ، وأن لا تكون لادارة المستعمرة سلطة قانونية عليهم أوسع من التى تطبقها على رعاياها ، ثم تطلب الخارجية البريطانية الاتصال بدفرن للحصول على كافة المعلومات الخاصة بالمرافقين والمسموح لهم به أثناء اقامتهم (٣٢) * وتبعث لندن الى لونجدن Longden حاكم سيلان فى هذا الشأن ، وتعلمه أن عرابى ورفاقه لا يعتبرون معتقلين — أى تحت الحجز — ولكن فى الوقت نفسه تطلب اخطارها عند رحيل أى منهم من الجزيرة أو عند مخالفة أى منهم لتعهداته ، وأن يختار ضابط على درجة عالية من الذكاء للإشراف على الحرس المعين لخدمتهم ، وتراقب تحركاتهم مع التعرف جيدا على كل من يتصل بهم من مسلمى سيلان أو المتعاطفين معهم عقب وصولهم ، وأنه نظرا لقرب سيلان للهند ، فيلاحظ ما اذا كان هناك من يتصل منها بالمنفيين أو يزورهم أو تكون له علاقة بهم من أى نوع ، وأخيرا تبليغه بأن جرانفل يرى وضع رقابة على مراسلاتهم وخاصة المباشرة لمصر ، وتطلب موافقتها بمدى تنفيذ وتحقيق تلك التعليمات عقب استقرارهم (٣٣) *

وتم الاتفاق بين دربى وجرانفل على أن يترك لحكومة سيلان اتخاذ

ما تراه بخصوص تعيين خدمة وحرس للمنفيين ، كذلك أعطى للحاكم السلطة التامة للتصرف حتى فى توجيه الباخرة المقلّة للمنفيين للرسو فى مكان آخر غير كولومبو اذا رأى فى ذلك مصلحة ، وزود ربان الباخرة بالتعليمات لتنفيذ أوامر الحاكم فى هذا الخصوص^(٣٤) . وعادت لندن لتؤكد على لوندن العمل على سلامة المنفيين والعناية بصحتهم ، وتلبية طلباتهم ، وعدم الاقدام على أى اجراءات تشير الى التدخل فى النواحي الاجتماعية ، أو معاملتهم رسميا ، مبينة أنهم سيقومون فى سيلان وفقا لكلمة الشرف التى تعهدوا بها ، ولن يغادروا الجزيرة دون الحصول على تصريح مسبق من حكومة جلالة الملك ، وفى حالة رغبتهم فى الرحيل لا تستعمل معهم القوة وانما يبرق للجهات المسئولة ، وتستبعد لندن ذلك مصرحة بأن عليهم الوفاء بعهدهم ، وتعلم الحاكم بأن الحكومة المصرية قررت لكل من المنفيين ثلاثين جنيهها مصروفا شهريا ، وأنها مستعدة لزيادة هذا المبلغ بناء على تقديره عندما يرى أنه لا يفى بحاجتهم وراحتهم ، وتطلب الافادة عن جميع المصاريف التى تصرف عليهم لاستردادها من القاهرة ، وأخيرا تبين أنه لم يتخذ قرار نهائى بأن الإقامة فى سيلان دائمة ، ولكنها مؤقتة ، وقد تعدل لجهة أخرى وفقا لرغبة المنفيين^(٣٥) . وكان واضحا اهتمام الخارجية البريطانية براحة المنفيين ، وتعددت خطاباتها لوزارة المستعمرات فى هذا الشأن^(٣٦) .

وفى القاهرة مضت الاستعدادات الأخيرة للسفر ، ونقل المسجونون من الدائرة السنية — تحت حراسة البوليس — الى ثكنات قصر النيل فى ٢٥ ديسمبر ١٨٨٢ حيث تلى عليهم القرار الخديوى ، وعادوا الى سجنهم مرة أخرى ، وفى الساعات القليلة المتبقية على الرحيل ، تمكن برودلى وزميله نابيير من الحصول على مرتب شهر لكل منهم مقدما ، وتدخلت الحكومة بطريقة غير قانونية ، ومنعت أن تصطحب النساء المرافقات معهن أكثر من ٢٠٠ جنيه ، وتوافدت الهدايا سرا على عرابي من السيدات الأرستقراطيات^(٣٧) . وكان التخطيط أن يغادر قطار

خاص يقلهم من داخل ثكنات قصر النيل الى السويس فى الساعة التاسعة من مساء ٢٦ ديسمبر : وخيمت على مكان الرحيل وتوقيته السرية ، فلم يعرفه الا القليل ، ومع هذا جرت بعض المحاولات للتمويه ، فقد وصلت تعليمات فى آخر لحظة بأن الرحلة تأجلت لسوء الأحوال الجوية فى السويس (٣٨) .

وانتبه برودلى الى هذا الأمر ، وكا احتياط للمفاجآت ، وضع مندوبا له فى نوبة دائمة عند السجن ليرقب التحركات ، وعليه أبلغه فى العاشرة مساء بأن عرابى ورفاقه غادروا المكان ، فأسرع متجها الى ثكنات قصر النيل ، حيث وجد القطار فى حراسة الجنود وعلى أهبة التحرك ، وجلست السيدات والأطفال فى المقدمة ، ثم وضعت الأمثلة والمتعلقات بصحبة الخدم فى العربة التالية ، وفى الدرجة الأولى جلس عرابى ورفاقه فى ديوانين ، وودعهم برودلى ، وتبادل بعض الكلمات مع عرابى الذى جامله وأثنى عليه ، وحدث أن تأخرت زوجة ابن عرابى وشقيقتها بناء على محاصرة البوليس لمنزله ، ولكن صدرت الأوامر بفك الحصار واحضارهما ، ورافق نابيير المنفيين ، ووقف على الرصيف بعض الشخصيات البريطانية ومحافظ القاهرة ، وتواجد بالقطار خرس مثله الفرقة ٦٠ من السلاح الملكى البريطانى ، وأيضا بعض الضباط والجنود من المصريين (٣٩) . وما لبث الأمر أن تحرك القطار تاركا قصر النيل ، ويشاء القدر أن تكون نهاية قادة الثورة فى هذا المكان الذى شهد مولد تلك الثورة ونجاحها .

وفى السويس استقل المنفيون الباخرة فى منتصف نهار ٢٧ ديسمبر الى مقرهم الأخير ، وصحبهم الأميرالاي موريس بك — بحرى انجليزى — ملاحظ خفر السواحل وسليم عطا الله أحد مستخدمى المصلحة ، الأول ليكون الواسطة بينهم وبين الحكومة ، والثانى ليتولى عملية الترجمة ، وذلك فى اطار المهمة الرسمية التى وكلت لهما ، وهى تسليم المنفيين الى المسئولين فى سيلان (٤٠) . كذلك سافر على الباخرة مترجم آخر

لكنه كان على نفقة المنفيين ، كما صاحبهم أحد ضباط البحرية ومعه فرقة من الجنود كحرس عليهم ابا ن السفر (٤١) . وتلبية لطلب دفن ، أبرقت الحكومة فى ٣٠ دسمبر الى موريس بك وكلفته تبليغ ربان الباخرة بالرسو على الميناء الذى تحدده له حكومة سيلان (٤٢) ، لزيد من التأكيد فى هذا الصدد . وفى نفس اليوم اتصل المسئولون المصريون بالمبعوث البريطانى وقدموا له الشكر على الترتيبات والتسهيلات التى قدمت للمنفيين (٤٣) . وبدأت مرحلة جديدة فى حياة عرابى ورفاقه كانت لها سماتها المختلفة عن المراحل التى سبقتها .

رست الباخرة ماريوتيس على رصيف ميناء كولومبو فى الساعة الخامسة من بعد ظهر ١٠ يناير ١٨٨٣ ، ولم يشأ حاكم سيلان أن يغير مكان اقامة المنفيين ، اذ اعتبر أن الثغريلائتهم ، نظرا لارتفاع نسبة المسلمين ، فهى تبلغ ١٣٣٪ من مجموع السكان ، وتوفر أماكن العبادة حيث ضمت سبعة مساجد (٤٤) . هذا بالاضافة الى أن موقعها قرب الجنوب يجعلها أقل تأثرا بالتيارات الهندية ، وأخيرا فان التغيير ربما يترك البصمات السيئة على المنفيين الذين كانوا قد هياؤا أنفسهم للاقامة فيها (٤٥) . وكتب لونجدين الى وزير المستعمرات تقريره الشامل ليصف له وقائع الوصول تفصيليا ، وأعدده بناء على تقرير نائبه دوجلاس Douglas الذى استقبل المنفيين على ظهر الباخرة وكان بصحبته مساعد سكرتير المستعمرة ، ويسجل نائب الحاكم أنه عقب لقائه بموريس بك تسلم منه ثبنا بالأسماء ، وبين أنه كان هناك عدد كبير من المسلمين متجمعين لاستقبال الوافدين ، ومن ثم فأثناء عودته فى المساء اتصل بأحد الضباط حتى يتم تفريق الجمع ، وبدأت هذه العملية من الساعة الحادية عشرة صباح اليوم التالى وحتى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، ولكنها لم تثمر بالنتيجة المرجوة ، اذ ازداد التجمهر وتجمع حشد كبير من المسلمين ، وانضم اليهم أوروبيون ، وعندما نزل عرابى الى الشاطئ — كان على فهمى قد سبقه فى النزول — ارتفعت الأصوات

بالصياح والهتاف ، وأسرع البعض ليقبل يده ، ونزل باقى المنفيين ، وسلم دوجلاس موريس بك ايصالا بوصولهم واستلامهم. (٤٦) * ويضيف عرابى بأن المسلمين لم يقتصروا على السيلانيين وانما انضم اليهم مسلمون من جاوة والهند والملايو ، وأن بعض الطوائف البوذية شاركت فى الاستقبال (٤٧) * .

ويركز حاكم سيلان على ذلك التعاطف الذى غمر به المسلمون ضيوفهم ، ويوضح أعدادهم ومناطق تركزهم ونصيب كولومبو منهم ، وأنهم أكثر شعوب الجزيرة نشاطا ، وأصولهم ترجع الى النسل العربى ، وبالتالي فان طبيعتهم العربية تختلف عن مسلمى الهند الذين هم من سلالة هندية ، ويشير الى أنه عندما يتصل بعرابى ورفاقه سيتبين له معرفتهم بعيدا عن السياسة (٤٨) * . ومما لاشك فيه أن ما قام به المسلمون سيدفعه الى مراقبة العلاقة بين الطرفين * .

وكان اللقاء بين المنفيين ونائب الحاكم طيبا ، حيث دار الحديث حول دوار البحر الذى عانوا منه ، ومحاولاتهم الأولى لتعلم اللغة الانجليزية ، ويبين دوجلاس أنه نفذ التعليمات الصادرة اليه بالعمل على راحتهم ، فنقلهم الى المنازل التى خصصت لهم ، وعندما طلبوا بعض التعديلات بها لى طلبهم ، ويصفها بأنها غير مفروشة حيث لا تؤجر فى سيلان مساكن مفروشة ، وأنه آخذ فى شراء الأثاث اللازم ، ويرجع سبب التأخير الى اجازة عيد الميلاد ، ويذكر أنه عقد ايجارها لمدة ثلاثة أشهر ويتجدد تلقائيا ، وأن التوزيع تم على أساس منزل لكل من على فهمى ويعقوب سلمى ، ومنزل جمع محمود سامى ومحمود فهمى ، بينما سكن عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى فى منزل واحد كبير على مساحة عشرة أفدنة وبه غرف عديدة للنوم والاستقبال وحديقة ، وذلك بناء على رغبتهم ، ومع كل منهم مرافقوه ، وأعدت لهم أطعمة تكفيهم ثلاثة أيام ، كما عين لهم خدم سيلانيون (٤٩) * . وبطبيعة الحال تكفلت الحكومة المصرية بجميع تلك المصروفات (٥٠) * .

ويصف عرابى لبرودلى فى خطاب له الانطباعات الأولى عقب وصولهم ، وذلك الاستقبال الحار الذى قوبلوا به ، وتوجههم الى المنازل المعدة لهم ، ويستغرق فى الاشادة بها ، وكيف استكمل أثاثها وأصبحت غرفها ذات « أسرة عالية وأرائك متقابلة وفرش مرغوة ومبسوطة » ، وأن حكومة سيلان رفعت عن كاهلهم ايجارها لمدة ثلاثة أشهر ، ويوضح أنه منذ اللحظة الأولى بدأ الناس يتوافدون على هذه المنازل « تطيب خاطرنا بوجوه بائسة وصدور رحبة » ويسجل اعجابه بالمدينة وخضرتها وأشجارها وثمارها وطيورها وشوارعها (٥١) . ثم يبعث بخطاب آخر يحمل نفس المعنى ، لكنه زاد عليه الثناء على رجال الحكومة البريطانية ، أيضا يرسل عبد العال حلمى وطلبه عصمت لبرودلى خطابا مشتركا يعبران فيه عن ارتياحهما للجزيرة ، وأنها لا تختلف عن الصورة التى نقلها اليهما أثناء وجودهما بسجن الدائرة السنية ، وعلى نفس الوتيرة يسجلان الشكر لبريطانيا ويدعوان لها بالبقاء ويشيران الى اكرامها للمنفيين ، ويمضى يعقوب سامى ليتبع نفس الأسلوب (٥٢) . ونجحت بريطانيا فى تخطيطها وجعلتهم يلهثون بالدعاء لها ، وقد انتهجوا هذا السلوك نتيجة الهزيمة ، وبعد ايمانهم بأنها وهبت لهم الحياة ، وأنها غدت محتلة لمصر وكلمتها الناهضة ، وبالتالي فمن المسلم به سطوتها وسلطانها فى العفو عنهم ونوال حقوقهم . وعلى هذه الصورة انتهى الطريق بهم الى المنفى ، وأصبح عليهم أن يؤقلموا أنفسهم على تلك الحياة التى تنتظرهم فى ظل ذلك المستقبل المجهول .

هوامش الفصل الأول

(1) Blunt, W.S. : Secret History of the English Occupation of Egypt, p. 450.

(٢) الأرشيف النمساوي ، محفظة ١٤ ، لندن ، ٢٣ فبراير ١٨٨٣ ،
محفظة ١٥ ، رقم ١٨٥ ، ١٥ أكتوبر ١٨٨٢ .

(3) Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 543, 544.

(٤) أرسل في مهمة خاصة الى مصر في نوفمبر ١٨٨٢ بواسطة الحكومة
البريطانية بهدف دراسة الاوضاع القائمة ووضع المقترحات لتنظيمها
وتحسينها .

(5) Blunt — Broadley, Nov. 2, 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 455, 456.

من المعروف أنه لم يكن المقصود عرابي بمفرده ، وإنما يدخل معه
رفاقه .

(6) Ibid, Nov. 28, 1882, p. 472.

(7) Broadley — Blunt, Tel. Nov. 29, 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 472, 473.

(8) Ibid, Nov. 30, 1882, p. 473.

(9) Blunt — Broadley, Tels. 29, 30, Nov. 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, p. 473

(10) Broadley, A.M. : The Trial, Exile And Pardon of Arabi Pacha (1882-1902), Vol. II, How we Defended Arabi And His Friends, p. 407.

(11) Broadley — Blunt, Tel. Dec. 4, 1882, Blunt — Broadley, Tel. Dec. 4, 1882, in Blunt : Secret History of the English occupation of Egypt, pp. 473-474.

(١٢) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، مجموعة ٧ حربية ،
٣ ، ٧ ، ١٠ ديسمبر ١٨٨٢ .

(13) F.O. 78/4267, Dufferin — Granville, Cairo, April 24, 1883,
No. 125.

محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ .

(14) Ibid, Broadley, op. cit., Vol. II.

(15) Broadley, op. cit, Vol. II, How We Defended Arabi And
His Friends, pp. 409, 410.

(16) Broadley — Blunt, Tel. Dec. 4, 1882, in Blunt : Secret
History of the English Occupation of Egypt, p. 475.

تقع سيلان في الجنوب الشرقي من الهند حيث يفصلها عنها مضيق
بلك ، وأرضها خصبة ، وبلغ عدد سكانها في ذلك الوقت ثلاثة ملايين
نسمة ، يمثل المسلمون فيهم ٨٠٪ ، والباقي من الشنكليز والتل عنى
مذهب البوذا ، وبعضهم هنود على مذهب براهما ، ويتصفون بالكرم وحسن
الضيافة . أحمد عرابي : كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية
المشهورة بالثورة العربية (المذكرات المخطوطة) ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ .

(17) Broadley : op. cit., Vol. II, How we Defended Arabi And
His Friends, pp. 384, 385.

(18) Ibid, p. 395.

(19) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Dufferin F.O, Dec. 8, 9, 12,
1882, No. 19, 21, 24, 41.

(20) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 9, 1882.

(21) Broadley : Op. Cit., Vol. II, How we Defended Arabi And
His Friends, p. 395.

(22) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 9,
1882, F.O — Dufferin, F. O, Dec. 12, 1882, No. 24.

(23) Broadley : Op. Cit., Vol. II, How we Defended Arabi And
His Friends, pp. 393, 394, F.O. 78, op. cit., Dufferin — Granville,
Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(24) Broadley : Op. cit., Vol. II, How We Defended Arabi And His Friends, p. 397.

(25) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(26) Ibid, Colonial Office, Feb. 21, 1883 (Egypt), Ordnance Survey Office — Dufferin, Aug. 4, 1883.

محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، بينت الخارجية البريطانية أن عدد المرافقين ٥٨ شخصا (F.O. Dec. 26, 1882) ، وفكرت وزارة المستعمرات أنهم ٥٢ شخصا (C.O. Feb. 21, 1882) ، وأشارت محافظ الثورة العربية أنهم ٨٤ شخصا (محفظة ٤٢) ، وسجل عرابي أنهم ٤٨ شخصا (المصدر المذكور ، ص ٦٤٥) .

(27) Ibid, Ordnance Survey Office — Dufferin, Aug. 4, 1883.

(28) Ibid, Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(29) Broadley : Op. Cit., Vol. II, Dec. 2, 1882, How we Defended Arabi And His Friends, pp. 405, 406.

(30) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(31) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 15, 21, 1882.

(32) Ibid, Dec. 21, 1882.

(33) Ibid, Downing Street — Longden, Dec. 21, 1882.

(34) Ibid, Dec. 24, 26, 1882, F.O — Dufferin, F.O, Dec. 30, 1882.

(35) Ibid.

(36) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 26, 1882.

(37) Broadley : Op. Cit., Vol. II, How we Defended Arabi And His Friends, pp. 411-413.

تنوعت الهدايا ، فجمعت بين القرآن الكريم وسجادة الصلاة وحقيبة السفر وسلة الرحلات .

(38) Ibid, p. 414.

(39) Ibid, pp. 414-417.

(٤٠) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، مذكرة مقدمة الى وزارة المالية في ٣ أبريل ١٨٨٣ بشأن منح مصاريف السفر لهما .

(٤١) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٤٤ .

(42) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 31, 1882, No. 71.

(43) Ibid, No. 72.

(٤٤) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٤ .

(٤٥) بالفعل لم تمض الا أيام و أعلن المنفيون عن رغبتهم لحاكم سيلان في البقاء بـ كولومبو ، حيث تحدث عرابي معه بالنيابة عن رفاقه وبين أن ذلك لا يعتبر نقدا لعهدهم .

F.O. 78, Op. Cit., Longden — Derby, Kandy, Jan. 30, 1883.

(46) Ibid, Jan. 13, 1883, Lt Governor Douglas's Report, Jan. 11, 1883.

(٤٧) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٤٤ .

(48) F.O. 78, Op. Sit., Longden - Derby, Kandy, Jan. 13, 1883

(49) Ibid, Lt Governor Douglas's Report, Jan. 11, 1883.

(٥٠) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، مذكرة نظارة المالية الى مجلس النظار ، ٢٨ مايو ١٨٨٣ .

F.O. 78, Op. Cit., Downing Street, Aug. 27, 1883.

وصلت مصاريف استقبالهم الى ٥٠٠ جنيه .

(51) Broadley : Op. Cit., vol. II.

(٥١) خطاب من عرابي الى برودلي في ٨ ديسمبر ١٨٨٣ يذكر فيه مختصر تاريخ اقامته هو ورفاقه في سيلان .

(52) Ibid. .

الخطابات المرسلة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٨٣ .

الفصل الثاني

العلاقة مع بريطانيا

انتهى المطاف بالقادة الثوار بالاستقرار فى المكان الذى اختير لهم ليُقضى به العقوبة التى فرضت عليهم ، وأحيل أمرهم الى بريطانيا ، وعليه فقد وضعت سياستها وفقا لخطوط معينة انتهجتها رغبة منها فى درء أى خطر يكمن وراءهم وخاصة عرابى ، ويكون له انعكاساته عليها ، ولكنها لم تتمكن تماما من تطبيق سياسة العزلة عليهم ، واتسعت دائرة اتصالاتهم ودخلت تحتها الشخصيات البريطانية •

منذ اللحظة الأولى ، راحت عيون المسؤولين البريطانيين ترقبهم ، وعقب وصولهم بيوم طلب جرانفل تبليغ دربى بصورة التعهد الذى قدموه لدفرن ، وارسال صورة منه الى حاكم سيلان ^(١) • والواقع أن الحكومة البريطانية كانت حريصة للغاية على التمسك بهذا التعهد ، ومما يذكر أنه بعد مضى ما يقرب من أربعة أشهر من وصول المنفيين ، قدموا للحاكم عريضة موقعه منهم بينوا فيها أنهم يعترفون بما أقرؤا به ، ويحافظون على كلمة الشرف التى أعطوها ، ولكنهم أكدوا أن ذلك صادر منهم للحكومة البريطانية التى يمثلها مبعوثها دفرن ، الذى هو ليس بمبعوث للخديو ، وبالتالي فهم فى حل من هذا الوعد بالنسبة للحكومة المصرية ، ثم أشاروا الى انتصار الانجليز على مصر ، وأنهم أصبحوا أسرى حرب ، وعلى بريطانيا أن تبر بوعودها التى بناء عليها أقرؤا بالعصيان خلافا للواقع ، حيث أفهمهم دفرن أنهم بهذا الاقرار يقدمون لها خدمة نظير الاصلاح الذى ترغب فى اقامته بمصر • ورفعت العريضة لدفرن ، فرد عليهم ، وأدحض قولهم ، وبين أن الأمر لا يختلف سواء بالنسبة للحكومة البريطانية أو الحكومة المصرية ^(٢) • ومن ثم فشلت تلك المحاولة ، وان اعتبرت نوعا من التمرد لم يكن قد ألفوه أثناء النفى •

وكان الحرص واضحا منذ أن وطئت أقدام المنفيين أرض جنة آدم ، فبيعت حاكم سيلان الى وزير المستعمرات ليعلمه أنه سيتصل بحاكم الهند بخصوص تنفيذ التعليمات الخاصة بعدم مغادرة المنفيين سيلان ، وأنه كلف ضابط بوليس انجليزى يدعى هوارد Lt Howard للاشراف على تحركاتهم ، وهو ذو خبرة عشرين عاما ، ويعمل تحت قيادة المفتش العام للبوليس بالحى الغربى لكولومبو ، وثبت ذكاؤه وكفاءته ، وصفاته تؤهله لتأدية المهمة بدقة ، فى الوقت الذى سيعمل فيه على سلامتهم ، وأنه فى حالة الضرورة يمكنه الاتصال بقائد عام البوليس والاستعانة بالجنود ، ويشير لونجدن الى الخطر المائل فى الهند وسيلان المتمثل فى امكانية قيام حركة اسلامية ، والخوف من النظرة للمنفيين على اعتبار أنهم أبطال ومخلصون لوطنهم ، وأن عرابى يعد قائدا من قواد المسلمين ، وبالتالي سيكون هناك تلاق بين الطرفين ، ثم يبين أن أعضاء الجمعية الاسلامية يصل عددهم الى ٢٠٠ ألف شخص من بينهم ٥٣٦ و ١٨٤ مسلما متعصبا ، وأنه علم من موريس بك أنهم يتكلمون العربية كما يتكلمها المصريون ، وهذا يعطى الفرصة لاتصالهم بالمنفيين وخاصة أن من هؤلاء المسلمين تجارا يتعاملون مع الهند ، وبالتالي تتسع دائرة الاتصال بعراى ورفاقه مع مسلمى الهند ، وتكون النتيجة أن تفتح الهند أبوابها لهم اذ ما رغبوا فى ذلك (٢) .

وينتقل حاكم سيلان الى وجوب أن يكون المشرف عليهم قويا وشديد الحيلة لهذه الظروف ، وأن يعد نفسه لجميع الاحتمالات ، ويحول بينهم وبين الاجتماعات الاسلامية التى تعقد ، وأخيرا يقترح ضرورة أن يكون هناك تحفظ فى اختيار مكان اقامتهم فى حالة رغبتهم فى التغيير ، فيستبعد ميناء جفنة Jaffna حيث يفصله عن شاطئ الهند ٣٣ ميلا فقط - مضيق بلك - وتوجد بواخر يومية تربطه بالموانى الصغيرة بالهند ، وذلك يستدعى احكام الرقابة للخوف من السفر

للهند خفية • أيضا يستبعد ميناء باتيكالوا Baticalloa ، وأن كانت تبعد عن الهند ، إلا أنها ترتبط بجفنة بتجارة واسعة ، ويمثل فيها المسلمون نسبة عالية ، وأنه بناء على هذه الاعتبارات لا يصرح للمنفيين بالاقامة فى هذين المكانين ^(٤) • ويوافق دربى على تحليلات ورؤية حاكم سيلان ، وتصرح لندن بأنها لن تسمح للمنفيين بالانتقال الى جفنة أو باتيكالوا ، وتبين أنه فى حالة ما اذا نقض أى منهم عهده ورجع عن كلمة الشرف وغادر سيلان ، فلن يسمح له بالتوجه الى الهند وانما الى سيشل ^(٥) •

وجرت الاتصالات مع وزارة الهند ، فتسلمت رسالة من وزارة المستعمرات وأخرى من حاكم سيلان ، بخصوص احتمال اتصال المنفيين بالمسلمين فى الهند ، وعليه تم اخطار دربى بأن الهند لن تصرح لهم بالاقامة فيها اذا تركوا سيلان ^(٦) • وصدرت التعليمات بأن يكون طلبهم فى تغيير أماكن الاقامة محدودا ، وينحصر فى أحياء معينة ، ووجوب تحديد تحركاتهم فى المناطق التى يقيمون بها ^(٧) • ويكتب نائب حاكم سيلان الى دربى عن تلك الاجراءات التى اتخذها لاحتباط تنفيذ أية محاولة يقومون بها لمغادرة الجزيرة ، ويسجل له أنه أعطيت لهم الحرية التامة ، اذ يتمتعون بكل ما يريدون ، ولم يعاملوا كمساجين أو أسرى حرب ، وأنهم لن يجدوا ذلك فى بلد آخر ، ويؤكد على ضرورة مراقبة الموانى خشية سفرهم على احدى البواخر الايطالية أو غيرها ، حيث يكون الموقف صعبا فى هذه الحالة ، ومن ثم لابد من وضع رقابة صارمة عليهم ^(٨) • وبعثت لندن لحاكم سيلان تخبره بأنه لو استدعى الأمر استخدام القوة لمنعهم من ترك سيلان تستخدم ، وأن تصدر الأوامر للضباط بالرقابة الفردية عليهم ، وتكون بحذر تام دون اشعارهم بزيادة الحرس ، وذلك بعد زحف الشك الى التعهد وكلمة الشرف ^(٩) •

وتتفيذا لهذه السياسة ، أصبح لابد من محاصرتهم واحاطتهم بسياج من التحكم ، وقد أدى جوردن Gordon حاكم سيلان دوره فى هذا الشأن ، واعتمد فى تنفيذ المخطط على كامبل Campbell مفتش عام البوليس ، الذى كان يدون كل حركة عنهم ويرفعها اليه ، وفى البداية أوضح له أن الرقابة عليهم ليست بالعمل السهل وتحتاج الى حيلة ، وأنهم يقيمون فى منازل متباعدة ومتفرقة فى أنحاء المدينة تحيط بها حدائق واسعة ، وقد أعطى للخدم أوامر بعدم السماح للجماهير بالاتصال بهم بأى حال أو دخول منازلهم ، ويشير الى حرصهم على ألا يرى أحد زوجاتهم وحريمهم ، وأن بعضهم يغادر منزله لزيارة زميل له وقد يعود فى وقت متأخر أو لا يعود الا فى الصباح ، ثم يبين أن المسئولية جسيمة لتلك الصعوبات التى تكتف الرقابة (١٠) .

ولكن ما لبث الأمر أن دون تقريراً فى ٣ ديسمبر ١٨٨٣ وتناول فيه بالتفصيل خطواتهم وما هو مصرح لهم وما هو محرم عليهم ، فقد سمح لهم بالتجول فى المدينة وأخطروهم أنه عند طلب أى مساعدة أو الرغبة فى الاتصال بالحكومة يكون ذلك عن طريقه ، وأنه عين الحرس واستعان بقوات أخرى من الخدمات ، وعندما ارتاب فى احتمال اتصال أحد منهم أو أكثر بالهند أحكم الرقابة ، ثم يتحول الى اعطاء وصف شامل لصفاتهم ، فيذكر أنهم أذكاء ، وأعمارهم تتراوح بين ٤٠ - ٥٤ سنة ، ويتسمون بالهدوء والنظام وتنسيق منازلهم ، وأنهم على علاقة صداقة مع الشخصيات البارزة بالمجلس التشريعى والزعماء المسلمين ذوى الاتجاه المعتدل وأصحاب المحلات وصغار التجار ، وجميع هؤلاء مخلصون للحكومة البريطانية ، وأنهم - أى المنفيون - يفضلون الحديث باللغة العربية ، وإن كانوا قد تعلموا القليل من اللغة الانجليزية ، وأخلاقهم وطباعهم حسنة ، ويتحلون بالأدب الجم ، ويسرهم اتصالهم المحدود بالأوربيين ، ثم يبين كيف كون معهم علاقة أسرية حيث دعاهم بمنزله والتقت زوجاتهم بعائلته ، وأنهم على علاقة صداقة وثيقة مع اثنين من ضباطه الذين هم موضع ثقته (١١) .

وينعطف مفتش عام البوليس على الاتجاه السياسى للمنفيين ، فيشير الى أنه ليس من السهل التعرف عليه لجهلهم أى لغة خلاف اللغة العربية ، وقد أعلمه بلغت أنهم يعتبرون أنفسهم ضحية ، وينظرون الى توفيق على أنه رجل مجرد من الأخلاق ، ويذكر التحذيرات التى فرضت عليهم بألا تكون لهم صلة بالسياسة أو الاتصال بمصر ، ويبين أن محمود صدقى نجل محمود فهمى الذى يبلغ من العمر ما بين ١٨ — ٢٠ سنة ، قام بتهديدات ان لم يعد المنفيون الى مصر لرغبته فى الاشتغال بالسياسة ، وألقى خطبه فى أحد اللقاءات التى عقدت بلبلت باللغة الانجليزية حملت هذا الاتجاه ، وكان قد حدث خلاف بينه وبين أبيه وغادر منزله وأقام مع عرابى (١٢) .

وبذلك أصبحت الصورة واضحة المعالم أمام أعين المسؤولين ، وكان الخوف مسيطرا عليهم من خرق مخططهم ، وفى مارس ١٨٨٤ انتشرت اشاعات بأن عرابى ومحمود فهمى يستعدان للعودة الى مصر ، وأنهما أعدا ملابسهما ويجهزان نفسيهما للإبحار ، وعلى الفور كتب كامبل للحاكم وصرح بأنهما صاحبا النشاط من بين المنفيين ، ودائما يجتمعان فى منزل عرابى ، وأن لهما زائرين كثيرين ويتردد عليهما بحارة فرنسيون وبعضهم يبقى لوقت متأخر من الليل ، ومن الممكن اصطحابهما معهم بسهولة ، حيث أن الزيارات غير ممنوعة وذلك مما يعمل على صعوبة عمل المخابرات ، وأن عرابى شكك لأحد الشخصيات البريطانية من رصد جميع تحركاته . وينتهى مفتش عام البوليس الى قراره بأنه سيقبض على كل من يحاول الهرب من المنفيين (١٣) .

وواصل الحذر طريقه ، فعندما قام سلطان مملكة جهور الهندية — من المسلمين الشيعة — بزيارة عرابى عام ١٨٨٤ صاحبه مستشار بريطانى ، وأدرك عرابى مغزى المرافقة « حتى لا ينبس نبسة الا حفظها الرقيب عليه فى حبة قلبه ، وبعد نصف ساعة عاد — أى السلطان — الى دار حكومة سيلان » (١٤) . ومن المحتمل أن تكون هذه الزيارة بوازع

من السلطات البريطانية لقياس غور اتجاهات عرابى حيال مغادرة
الجزيرة .

وشكلت مسألة المراسلات بين المنفيين وذويهم ميدانا جرت فيه المباحثات وتناولت مسألة الرقابة عليها ، فعقب وصولهم بعشرة أيام ، كتب حاكم سيلان الى وزير المستعمرات يعلمه برأيه فى أن تتم الرقابة بالسويس ، حيث وصول البريد اليها وخروجه منها ، وتكون بمعرفة الحكومة المصرية ، اذ وضع فى الاعتبار أن البعض منهم ترك أفرادا كثيرين من عائلته فى مصر ، وطبيعى ستكون هناك خطابات متبادلة بينهم ، وبالإضافة الى أنها تعد مراسلات خاصة ، فهى باللغة العربية ومن الصعب قراءتها فى سيلان حتى لو سمح بذلك ، ويحتاج الأمر لترجمين ، وإذا وجدوا ، فإن فتح الخطابات وقراءتها ستعكس انطبعا سيئا عليهم ، أيضا فالثقة ليست متوفرة لديهم ، وستكون النتيجة فى غير المصلحة . أما فى مصر فالوضع يختلف تماما ، فالمنفيون وضعهم حساس للغاية لأنهم كانوا ثوارا ، وأقل ما يمكن أن يتنفسوا الصعداء بمراسلاتهم مع عائلاتهم ، ويصح للحكومة المصرية بعد الرقابة تسليم المراسلات لذويهم مع ضباط مصريين ، وعليه فالوضع متغير بين سيلان والسويس ، ويؤيد دربى وجهة نظر لونغدن (١٥) .

وأخطرت الخارجية البريطانية دفرن لترتيب الرقابة على المراسلات وفقا للخطة السابقة (١٦) . ومن ثم قام المبعوث البريطانى بالاتصال بالمسؤولين بالحكومة المصرية للقيام بهذه المهمة اذا كانت قوانين البريد تسمح بذلك ، وكتب الى جرانفل يطلب منه أن يبلغ حاكم سيلان عرابى ورفاقه بعدم ارسال خطابات لمن كانوا يعملون معهم فى الثورة (١٧) . وكانت لوزير الخارجية البريطانية رؤيته الخاصة ، فقد أبدى رغبته فى وقف ارسال خطابات من المنفيين الى مصر ، ولكن المسؤولين البريطانيين لم يقرروا ذلك وخاصة أن هذه المراسلات

لعائلاتهم ، وأوضحوا أنه اذا وجدت خطابات تمس السياسة فينظر فيها ويحذرون من ارسالها أو أن يكون لهم أى اتصال بالسياسيين ^(١٨) .

ونفذ المسئولون فى مصر مسألة الرقابة ، فخفضت البرقيات والخطابات لها ^(١٩) . ومثلت مراسلات عرابى أهمية خاصة ، وذلك عندما اشتبه وزير المستعمرات فى امكانية أن تكون هناك خطابات بينه وبين المهدي ، وعليه أرسل لحاكم سيلان تحت هذا المعنى ، فرد مينا أن الخطابات العادية الصادرة منه أو الواردة اليه اذا فتحت ، فمن المحتمل اكتشاف ذلك ، ولكن الخطابات المسجلة خاصة المرسلة منه للخارج يمكن فحصها بكل اطمئنان ، وأرفق بكتابه صورة خطاب مرسل انى عرابى بمعرفة باخرة فرنسية ، ويذكر أنه فور اكتشافه لذلك اتصل مباشرة بالمعتمد البريطانى فى مصر بهذا الخصوص ^(٢٠) .

اذن لم تعد الرقابة قاصرة على السويس ، وفتحت خطابات عرابى ، وأرفعت الخارجية البريطانية أحدها مرسل منه لمصر ، وتبين أنه ليست له أهمية ، وبالتالي رأى جرانفل عدم فتحها وفحصها ، الا اذا كان هناك سبب وجيه ، وفى الوقت نفسه ترك لحاكم سيلان اتخاذ ما يراه فى هذا الشأن ^(٢١) . وعادت الخارجية البريطانية لتؤكد أنه لا ما نع من تسليم عرابى الخطابات الواردة له أو ارسال الصادرة منه طالما أنها عادية ^(٢٢) .

وبذلك يتضح شغف المسئولين البريطانيين لمعرفة اتصالات عرابى واتجاهاته ومدى ارتباطاته السياسية خاصة مع المهدي الذى حمل التقدير لقائد الثورة العرابية ، وكم تمنى أن يفتديه ويفك أسره ، ورغم أن عرابى كانت له رؤية فيما يختص بالمهدي المنتظر حيث لم ترق له تلك المسألة ، الا أنه لم يعارض موقفه الثورى ، ففى عام ١٨٨٤ نزل بالجزيرة لورد روزبرى Rosbery — من الأحرار وصديق لجلادستون — والتقى بعرابى ، وحضر المقابلة محمود فهمى ، وتحدث اللورد عن دعوة

المهدى وخطورتها على مسلمى الهند ، وأن الحكومة المصرية أر جيشا تحت قيادة هكس Hicks ، وطلب معرفة رأى محدثه ، ف ذلك بطريقة تنم عن الذكاء مبينا أن فى هذا صالح للمهدى و؛ لثورته ، وعندما سأله اللورد عن العلاج أفاد بإمكانية ارسال مصرى من العلماء لاقتناعه بأن وقت المهدى المنتظر لم يحن بـ وان كان طالبا لملك فينصب أميرا على السودان تابعا لمصر التـ ادخال الاصلاحات اليها مقابل جزية تدفعها لها (٣٣) .

ومن الملاحظ أن معاناة بريطانيا من الثورة المهدية قد ترك طيبيا على نفسية عرابى حيث شفى غليله لتلك الهزائم التى منيت واعتبر هذا انتقاما منها لما قامت به تجاه الثورة التى قادها ، لـ يجهر بذلك صراحه ، وفى الوقت نفسه ساءه تصرفاتها ، ويترجم الخطاب الذى بعث به الى زوجة بلنت فى ٢ مارس ١٨٨٥ — سقوط الخرطوم — ردا على ما كتبه بلنت فى صحيفة التايمز عن وانجلترا والسلطان ، وتلك القصيدة التى حملت عنوان « الر والعواصف » التى تعرضت للمآسى والنكبات المتوقع حدوثها ، و بذلك معلقا على قدرة الله فى انقاذ الضعفاء والمظلومين و؛ الجبابرة ، ويسوق الأمثلة بالامبراطوريات التى هوت عروشها ، و؛ الى الموضوع الأساسى ، فيبين أنه شديد الكدر لسقوط نجم ا؛ بسبب أعمالها السيئة فى مصر والسودان ، ويشير الى أن الله صراخ المظلوم والأرملة والطفل الصغير وسوف ينتقم لهم الشعب المصرى لديه النية الطيبة ازاء الأمة الانجليزية ، وثقتا أكثر من سواها ويؤسفه أن يرى فى اعتقاده هذا نوعا من ا والخداع (٣٤) .

ويعدد عرابى ما فقدته انجلترا ، اسمها الحسن ، وصـ لجميع المسلمين وللسلطان ، وجوردن — نظرا لاتباعه النصائح المزي وهكس ايرل وكثير من الضباط ، واحترام الجميع ، وذلك كله لـ وهكس وايرل وكثير من الضباط ، واحترام الجميع ، وذلك كله لـ

ضد الرجال الأحرار فى السودان • ويستعلم عن الوقت الذى ستتوقفه فيه عن المضى فى هذا الأسلوب بارسالها جيوشا من رجال ينتقمون لآخوانهم المصريين ، ويدافعون عن وطنهم ، ويفضلون نجرع كأس المنية عن رؤيتهم لعدو يخرق حدوده • وينتهى عرابى الى أن خمسة عشر مليوناً من هؤلاء السودانين قد وضعوا أيديهم على السودان ودارفور وجميعهم من أتباع المهدي الذين عاهدوه على الاستشهاد اتباعاً لما جاء به القرآن الكريم ، وبالتالي فإنه يزداد قوة كلما اشتد العدوان الانجليزى • ويختم خطابه بالقول « وتلك هى حكمة الله مع خلقه ، ومع كل هؤلاء الذين لديهم القدرة على أن يروا ويتأملوا ويفهموا ، وهذا هو القانون الالهى الذى لا يمكن الهروب من حكمه ، وأن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء » (٢٥) • وعاد عرابى وبعث بخطاب آخر الى يعقوب بن صنوع فى ابريل ١٨٨٥ حمل نفس المعنى (٢٦) •

ومن ثم ينعكس العطف الذى أسبغه عرابى على السودانين وثورتهم ، وعقب القضاء عليها استمر فى موقفه الودى من السودان ، ففى حديث له مع مراسل الصحيفة البريطانية *Pall Mall Gazette* فى يناير ١٨٩٢ ، وعندما سأله عن إعادة التجارة بين مصر والسودان ، أجاب بأنه طالما بقيت القوات البريطانية فى مصر فلن تعود ، وأن بقاءهم يؤدى الى كراهية السودانين لمصر ، واذا غادروها فستكون مصر والسودان دولة واحدة بحكم الدين واللغة والطباع ثم ذلك النيل الذى يربط حياتهما (٢٧) • وعليه ينجلى أن توجس المسئولين البريطانيين خيفة من تعاطف عرابى مع السودانين كان فى محله ، وأن حرصهم الشديد على اقضاء أى ترابط جعلهم يتشددون فى مسألة الرقابة عليه •

ولم يتحقق التخطيط البريطانى تماما بشأن تحويل المنفيين الى أفراد عاديين خاصة عرابى ، وكسرت سياسة العزلة ، ودون الدخول فى تفاصيل ، فان الثورة العربية كان لها الأصداء الخارجية فى أوروبا وأفريقيا وآسيا ، واعتبر قائدها رمزا للوطنية أمام الجميع ، وتحول

فى نظر المسلمين على وجه الخصوص الى شخصية مدافعة عن الاسلام ، هذا واذا وضعنا فى الاعتبار ما كان يتردد بشأن نسبه الشريف تكتمل الصورة لتغدق عليه المكانة حتى بعد الهزيمة ، وساعد مكان نفيه على تلك الاستمرارية •

وبدأت تغد على عرابى مراسلات من بعض حكام ممالك جنوب شرق آسيا - سيام ، سنغافورة ، الملايو - والمقربين لهم ، وبالإطلاع عليها تبين أن منها ما يحمل الألقاب الدالة على العظمة والسلطان ، كما أنها تفيض بالفخر به ، لدرجة أنه يعلق على أحداها « ومن المعلوم أنى نست بملك ولا سلطان ، ولكن هذا مبلغ علمه (المرسل منه) وحسن ظنه وفرط حبه لكل بيت الرسول ﷺ » (٢٨) • وبعضها يعد فيها أصحابها بزيارته ويرسلون معها صورهم ، وبعضها يشيد به ويركز على نسبه حتى يصل به الى ابن عبد مناف ، ومما تجدر الإشارة اليه أن أحداها يتعرض فيها كاتبها الى أن الانجليز تغلبوا على مملكة كدة - تقع فى الملايو - واستأثروا بها ولم يتركوا للعائلة الحاكمة فيها إلا العاصمة وحفظوا لحاكمها لقب السلطان فقط وعينوا له مستشارا انجليزيا (٢٩) • وهذا يدعونا الى التساؤل ، كيف سمحت الرقابة بوصول تلك الخطابات لعرابى ؟ الواقع أنه تسلم البعض منها بواسطة القناصل ، وكان يقوم بالرد عليها (٣٠) ، وبالطبع استخدم نفس الطريقة • وهكذا تبدو رؤية الحكام المسلمين لعرابى ، وعدم تمكن السياسة البريطانية من قطع هذه الاتصالات •

ومما لا شك فيه أن الخطابات ثقلها وعلى وجه الخصوص لدى الذين يعيشون غرباء عن بلادهم ، وحالة المنفيين كانت فى أشد الحاجة لأن يواسيهم ويغمد جروحهم ويحسن من نفسيتهم ، خاصة أن الهجوم صوب عليهم ، وقد بعث نينيه Ninet - صديق قادة الثورة السويسرى - بخطاب الى عرابى فى ٢ أكتوبر ١٨٨٣ يدحض فيه ماذكرته الصحافة الأوربية عنه ومن سار فى ركابها ويشيد بوطنيته وبرفاقه

الذين شاركوه كفاحه (٣١) • وعلى نفس الدرب يرسل عبد الله النديم رسالة اليه « يعزيه بها ويسليه بعد الذى جرى من الانكسار والرحيل من الديار » وضمنها موجزا لتاريخ مصر الحديث ، والظلم الذى وقع على المصريين ، وتأسيس الحزب الوطنى ، وقوة شخصية قائد الثورة ووقائعهما ، وما قام به الخونة ، وما ينتظرهم من سوء عاقبة ، ويسوق له الأمثلة من الهزائم التى تعرض لها الخلفاء والملوك ، وأن الأمل فى العودة لمصر قريب ، ويحاول رفع معنويته ، فيذكر له شوق المصريين اليه ، وأنه عندما يصل منه خطاب الى أحد يدور به على محبيه ، ثم يعرج على مكانته فى الغربية وشهرته الواسعة وزيارة العظماء له ، كذلك يمجّد رفاقه (٣٢) •

أما عن اللقاءات مع المنفيين على الأرض السيلانية ، فعقب أيام قليلة من وطء أقدامهم لها احتفى بهم ، فأقيمت المآدب المتعددة ، بدأها الأعضاء المسلمون بمجلس الشورى والأعيان ، ثم تلاحت على أيدي غيرهم من الطوائف الأخرى ، وقد رد المنفيون هذه الدعوات الى أصحابها فى وليمة مشتركة (٣٣) • ومما يسجل أنه كما كان منزل عرابى فى مصر يمثل بيت الأمة أثناء الثورة ، فان منزله فى جنة آدم اتخذ شكلا مشابها ، فلم يمض الا وقت قصير حتى اتخذ كل من المنفيين منزلا مستقلا بناء على طلبهم من حاكم سيلان الذى اعتبره طلبا معقولا (٣٤) • واستمروا فيه حتى عام ١٨٩٢ حيث انتقلوا الى مدينة كاندى ، ولم يبق فى كولومبو الا محمود فهمى لمرضه • ويزداد عدد المسلمين فى المقام الجديد اذ يمثلون نصف عدد السكان ، ويذكر عرابى أن سبب الانتقال اليها يرجع الى « قرب مناخها لمناخ مصر فى زمن الربيع » (٣٥) • ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد ، فمعروف أنها مقر للحاكم البريطانى ، وبالتالي تكون متابعتهم أيسر وأسهل •

وكان من الصعب منع الزيارة لمنزل عرابى خاصة بعد أن اتسعت صداقته وتوافد عليه الكثيرون ، فقد أصبح مسلمو الهند يمرون عليه

أثناء رحلة الحج الى مكة ، وتعلق صحيفة The out Look « انهم جاءوا ليعبروا عن تقديرهم للرجل الذى يعتبرونه بطل الوطنية المصرية ، والذى ساقه القدر ليكون أحد سكان هذه الجزيرة ، تلك التى تمتعت بمكانة دينية لهبوط آدم عليها » (٣٦) . ومما لا شك فيه أنه للمسحة الدينيّة التى ارتسمت عليه أثرها ، فارتباطه بالمسجد ومداومته على قراءة القرآن الكريم (٣٧) ، أعطته انطبعا خاصا لدى الناس ، فأقبلوا عليه وتقربوا منه ، ومع هذا فان الأمر لم يقتصر على استقباله للمسلمين فقط ، وانما فتح بابه على مصراعيه حتى لقد طرقة جنود من أورب وأمريكا (٣٨) . وأسعده هذا المناخ الاجتماعى وجعله يواصل الاستمتاع بمركزه ، ولم يحظ غيره من المنفيين بما تمتع به ، ويرجع ذلك الى طبيعته شخصيته فهو يمتلك القدرة على جذب محدثيه ، هذا من ناحية ، وم انطبع فى الأذهان بشأن دوره فى زعامة الثورة وتحديه واشهاره السيف فى وجه بريطانيا من ناحية أخرى .

وحملت علاقة المنفيين بالانجليز طابعا خاصا ، فقد تعرض حاكمه سيلان للوم المسئولين البريطانيين فى لندن لدعوته لعرابى ومحمود فهمى ومحمود سامى للمأدبة عشاء عقب وصولهم الجزيرة بأربعة أشهر على أساس أنه كان فى كاندى وقت وصولهم ، وأن الدعوة شملت خمسة وعشرين شخصا من بينهم هؤلاء الثلاثة وأجنيبان آخران ، وأنا فى اليوم التالى للمأدبة أقامت زوجته حفل عشاء لزوجات المنفيين وفق لعاداتهم بشأن عدم اجتماع الرجال مع النساء فى مكان واحد ، ويعتذر لونهاجدين عن تصرفه ويبين أنه لم يعامل المنفيين معاملة خاصة وانما كباقي المدعويين (٣٩) . معنى هذا حرص لندن على الحد من الانفتاح والمحافظة على سياسة الانكماش .

ومما يذكر أنه عند زيارة الرسميين البريطانيين للجزيرة كان لابد أن يتم اللقاء بينهم وبين عرابى ، حدث ذلك عندما حضر اليها تشمبرلن

Chamberlain وروزبرى وماكدونالد Mac. Donald ، وجرى الحديث عن بعض القضايا السياسية ، وقد نطق عرابى بشكواه موضحا حقه الكامل فى العودة الى وطنه ، ووعد الجميع بالمساندة عندما تحين الفرصة المناسبة ونصحوه بالصبر حتى يأتى الفرج (٤٠) . أيضا حينما قدم دوق كنوت D. Of Connaught الابن الثالث للملكة فيكتوريا كان عرابى على رأس مستقبله ، ودعا الدوق المنفيين لمأدبة أقامها لهم بمقر الحكومة (٤١) . هذا وقد أثمرت زيارة دوق كورنول ويورك D. Of Cornwall & York عن اطلاق سراح عرابى وعلى فهمى من النفى وعودتهما الى مصر (٤٢) . كذلك استقبل عرابى بعض مسؤولى الهند البريطانيين (٤٣) .

وتوثقت الصلة بين المنفيين ووليم جريجورى W. Gregory — عضو مجلس العموم البارز ، وعضو حزب الأحرار ، ومن أتباع جلادستون ، وعلى صلة بالبلاط الملكى ، وقد تعاطف مع الثورة وحرر المقالات لصالحها فى صحيفة التايمز — فقد كتب لوزير المستعمرات ليعرض طلباتهم المتعلقة بالناحية المالية وبعض المسائل الشخصية الخاصة باحضار الزوجات ، ويبحث درى بتلك المراسلات التى تؤيد تظلمات المنفيين الى جرانفل ، وتقوم الخارجية البريطانية بالرد عليه (٤٤) . ويقف فى مجلس العموم ليستعجل عودة عرابى ورفاقه الى وطنهم ، ويعمل كل ما فى وسعه ليحسن من حالتهم المعيشية حيث كان يؤمن بأن ما يتقاضونه غير كاف لهم ولعائلاتهم على الاطلاق (٤٥) . كما قام بأكثر من زيارة لهم عندما حضر الى سيلان . وعليه يتضح اتصال الخط بين المنفيين وكبار الشخصيات البريطانية .

وربطت العلاقة بين المنفيين وغير المسؤولين من البريطانيين ، وشكل بلنت ركيزة أساسية فيها ، فقد لعب دورا أثناء الثورة اذ عمل فى صفها ، وان كان هذا الدور يشوبه نوع من الغموض يفرض بعض التكهّنات على الهدف من هذه الصلة ، الا أنه أعطى صورة الرجل

المتعاون ، وبرزت مساعيه . عقب الهزيمة فى مسألة محاكمة عرابى ورفاقه ، ويستمر فى اهتمامه بعد صدور حكم النفى عليهم ، فيرسل الى برودلى مستعرضا سوء حالة المنفيين المالية ، وأن جنيها مصريا واحدا فى اليوم لا يكفى للفرد منهم وعائلته ، وأنهم كانوا أصحاب ممتلكات صادرتها الحكومة المصرية ، ويتناول قيمتها ، ويبين أن الاقرار أو التعهد الذى أخذ عليهم تم فى ظروف صعبة ، بل ان محاكمتهم وصدور الحكم عليهم كان قاسيا ، ويرى أن تعمل بريطانيا على حسن معاملتهم وأن تسعى لدى القاهرة لتدبير المال اللازم لمعيشتهم ووسائل راحتهم (٤٦) .

وازدادت صلة المنفيين بصديقهم ، فيسطرون له ليلغوه بأخبارهم ، فيبعث طلبة عصمت ببرقية اليه يعلمه بمرضه وبما رآه الأطباء بشأن انتقاله الى بلد جاف (٤٧) . وقد مثلت المراسلات المتبادلة بين عرابى وبلنت أهمية ، فرغم أنه فرض على الأول ألا يتدخل فى الشؤون السياسية ، لكنه راح يرد على خطابات الثانى ، وتعرض فى كتاباته لما هو محظور عليه ، حيث استرجع الحوادث منذ مذبحة الاسكندرية وتلون درويش باشا ورشوة الخديوى له ، وموقف الأخير ، والحزب المعارض للثورة ، ودور محمد سلطان وعمر لطفى ، والأوقات العصية التى مرت بها مصر ، وتلك الاتصالات التى أجراها — عن طريق صابونجى — لابلأغه بالسعى لدى جلادستون قبل ضرب بريطانيا للاسكندرية بأيام (٤٨) . وربما كان طرق مثل هذه الموضوعات واسترجاع الذكريات تريخ من نفسية زعيم الثورة الذى غلب على أمره .

ومع خريف العام الأول للنفى ، عقد بلنت العزم على اللقاء بالمنفيين ، فأرسلت زوجته الى الخارجية البريطانية تطلب التصريح لزوجها بالسفر الى كولومبو لمقابلة عرابى ورفاقه (٤٩) . ووافقت لندن ، ولما كانت شخصية الزائر محببة الى قلوب الشرقيين نظرا لما يسطره سجله من مواقف متعاطفة معهم ، قدمت الطلبات من قيادات الجماعة الاسلامية فى سيلان للتصريح باقامة أقواس النصر مكان

رسو الباخرة التى تنقله ، وفى الشوارع العامة كما يجرى عند قدوم عضو من الأسرة المالكة البريطانية ، وحين وصول حاكم جديد للجزيرة ، ويبحث دوجلاس الى وزير المستعمرات بالأمر ويبلغه بأنه لم يوافق على التصريح لهم بذلك ، ويعتبره اجراء مغادا لاتجاه السياسة العليا ، ويبين أنه سيعالج الموقف بطريقته حيث يشير الى الشعور الاسلامى المتعاقب فى هذا الصدد (٥٠) .

ولم تمنع معارضة نائب الحاكم وفود المسلمين المتعددة من استقبال بلنت الذى وصل الى كولومبو فى ١٩ أكتوبر ١٨٨٣ . ويعطى دوجلاس لوزير المستعمرات وصفا لهذا الاستقبال (٥١) . ويذكر عرابى أنه ورفاقه اسنقلوا زورقا وذهبوا به الى الباخرة المقلّة لصديقهم وزوجته وكان بصحبتهما صابونجى ، وعندما وصل الجميع الى البر تكاثرت الجموع مما تعثر معه السير حتى المركبات لولا تدخل البوليس ، وصاحبه الأصدقاء الى مقر اقامته ، وعلى طول الطريق كانت التحيات تحيط الركب من كل جانب ، وأعد له عرابى مأدبة حضرها عدد كبير من الشخصيات ، ألقى فيها أحد المحامين السيلانيين المسلمين خطبة ، فأشاد بالضيف وانتصاره للعدل والحرية ومدافعتة عن واجب الانسانية وفى حفل آخر أقامه المسلمون تكريما له ، ألقى خطبه أثنى فيها على كرم مسلمى سيلان وحسن احتفائهم وعنايتهم بأخوانهم المصريين شهداء العدل والحرية والدفاع عن وطنهم (٥٢) .

ويكتب نائب الحاكم الى دربى مشيرا الى مقابلات بلنت للمنفيين ، وجلساته مع محمود سامى ، ثم ينقل دوجلاس ما دار من حديث بينه وبين الضيف ، وأنه سألّه عن انطباعاته عن المنفيين فعلم منه أنه وجدهم فى راحة وأن حالتهم أصبحت أحسن عما رآهم فى مصر ، وينهى رسالته بأن بلنت سيغادر سيلان فى غضون أيام متجها الى الهند لزيارة بعض المدن فيها ، وأنه أبلغ الهند سرا بالمعلومات التى حصل عليها منه (٥٣) .

ويرفع مفتش عام البوليس تقريراً وافياً عن أحداث الزيارة موضحاً مدى الارتباط بين المنفيين وبلنت ، فيبدأ ببيان أهمية شخصية عرابي ومحمود سامي ، والمراكز التي كانا يشغلانها أثناء الثورة ، وأنهما حتى أثناء النفي يعتبران الزعيمين ، ولكنه يعود ويركز على عرابي ويعدده أكثر المنفيين نقاءً وأقوامهم شخصية ، ثم ينتقل الى وقائع اللقاء الرسمي الذي حضره المنفيون ، فيسجل أن محمود سامي وقع أولاً وتبعه عرابي وباقي المنفيين ، وعند الدخول عقب التوقيعات اتبع نفس النظام ، وبالتالي فقد شغل محمود سامي المقعد الرئيسي مما جعله في المقدمة ، ويصف كامل شعور الحب الذي انتاب أعضاء الجماعة الإسلامية لبلنت وكيف أنه نابع من قلوبهم لدفاعه المشهور عن المسلمين ، وعرج على وصف استقبال بلنت وزوجته - أثناء اقامتهم - للمنفيين واعتبارهم كضيوف عظام ، كما دون كلمات المنفيين عن صديقتهم التي أظهرت تعاطفه معهم وما بذله من مساعي لانقاذ حياتهم ، وأنه ذو شخصية لها وزنها لديهم (٥٤) .

وينقل مفتش عام البوليس تصريح بلنت الذي أدلى به بأنه لم يكسب أكثر مما كسب في قضية عرابي ورفاقه ، أيضاً يعرض تحليلاته عن شخصيتهم من واقع رأيه الشخصي وحكمه عليهم ، اذ يقول ان عرابي شخصية لا تشوبها أية شبّهات ، ومحمود سامي رجل أصيل ، والخمسة الباقون لم يكن لهم دور أكثر وضوحاً في الحركة العراقية عما قام به آخرون كثيرون ، وأن لعرابي تأثيراً كبيراً على عقول المصريين ، وهو مخلص لوطنه ومحب لبلده ، وكان يعمل لها ومن أجلها ، ونجح في اقناع الناس بمختلف طبقاتهم بمبادئه ، وأن ما يتمتع به من العمق الديني والسياسي وثقله في المجتمع مكنه من توحيد جميع القوى في كتلة واحدة تعمل لهدف واحد ، وينتهي بلنت الى أن الخديو ضعيف وغير صالح ، ولن يبقى أكثر من سنتين ، وفي هذه الحالة ستخضع المعارضة ويعود المنفيون الى بلدهم ويتولى عرابي رئاسة الوزراء (٥٥) . وبذلك

أعطى بلنت هذه الصورة البراقة ، وما لبث أن غادر مع مرافقيه الجزيرة الى الهند ، واحتفى بتوديعه بنفس الطريقة التى استقبل بها (٥٦) .

ووضح اتجاه بلنت حيال امكانية حياة سياسية جديدة يحياها المنفيون بعد رجوعهم الى مصر ، وقد أكد ذلك خطاب بعث به الى عرابى فى ٢٦ أبريل ١٨٨٤ يبلغه فيه أن أمل العودة للوطن أصبح أكبر منه فى أى وقت مضى ، والسبب يرجع أولا الى أن العناية الالهية تريد علو الحق دائما ، وثانيا أن الحكومة البريطانية وجدت نفسها فى مصر أمام صعوبات كبيرة ، فى مقدمتها اضطراب الحالة المالية ثم مسألة المهدي ، وبالتالي أصبحت شديدة الميل للجلاء عن مصر ، وترى أنه لا بد لها قبل تلك الخطوة من أن تقوم فى مصر حكومة ثابتة وأمير يستطيع أن يكون على اتفاق مع ثائر السودان ، ولهذا فمن المحتمل أن تتخلى عن توفيق لعدم قدرته على الحكم ، لتضع زمامه فى يد غيره قبل جلاء قواتها عن مصر (٥٧) .

ويبين بلنت لعرابى الخطر المحيط بجوردين فى الخرطوم والذى يجبر الحكومة البريطانية على الوصول لاتخاذ قرار سريع ، وأنه قد اقترح عليها أن يذهب كمبعوث للمهدي للحصول على السلام ، ولانقاذ حياة جوردين ، وفى حالة قبول اقتراحه لابد من موافقتها على خطته بشأن وجود حكومة صالحة فى مصر ، ويضع بلنت أمام عرابى عدة تساؤلات واستفسارات ، فيطلب منه صراحة الشروط التى تمكنه من العودة مع رفاقه الى مصر ، وأنه يعلم أن فى استطاعته قبول العمل مع حلیم باشا ، ويتطرق الى مدى موافقته للعمل مع الخديو السابق اسماعيل ، ويذكر أنه تلقى رسائل منه فى مرات عديدة ، وأن أصدقاءه حدثوه عن أنه وعد بالعمل مع عرابى اذا عاد للعرش ، ويعود بلنت ليقف من المرسل اليه على امكانية تصديق هذا الوعد ، ويشير الى اقتراحه — فى أية حالة — بأن قيادة الجيش سوف تكون من نصيبه (٥٨) .

وبعد ذلك العرض ينتقل بلنت الى رغبته فى معرفة ما اذا كان هناك أى أمير من بين أمراء المسلمين يرشحه عرابى ويقبل العمل معه ، ويركز على الهدف الأساسى ، وهو أن يكون فى مقدور الحاكم الجديد عقد السلام مع المهدي ، ثم يبين أن السياسة دائمة التغيير ، وما هو صحيح اليوم قد لا يكون صحيحا فى الغد ، وما عرض بالأمس محتمل قبوله بعد ذلك ، وأخيرا يصرح له أنه من الضروري طرح رأيه على المؤتمر الجارى عقده ، ويطلب منه أن يحرر له أفكاره وأفكار رفاقه ، وأنه اذا عقد النية على العودة لمصر لتقلد منصب الوزارة تحت حكم اسماعيل ، فيبقرق اليه بكلمة « مقبول » ، واذا كان العكس تكون الكلمة « مرفوض » ، ويعود بلنت ويؤكد لصديقه أنه لا يعنى أن تكون هناك صداقة تربطه باسماعيل ، وانما كل ما يهدف اليه معرفة رأيه الحقيقى عن قدرته للعمل معه (٥٩) .

ويأتى رد عرابى على بلنت فى ٢ يونيو ، ليسجل أن اسماعيل شخص مخادع وصاحب سمعة سيئة لانعدام أمانته ، وأنه السبب لما حاق بمصر من انهيار ، وأن الدين الذى يخنقها يرجع الى أفعاله ، ولا يوجد من بين الأسرة المالكة من لديه المؤهلات المطلوبة لتولى العرش ، ولكنه يشير الى امكانية تولى حليم باشا الحكم ، ويحلل أحييته فى أنه الوريث المباشر لمحمد على ، ويلقى الترحيب من المصريين ، وتعرض لمحن جسيمة لفترة طويلة ووقع عليه الظلم ، وأخيرا يصل الى بيت القصيد ، بامكانيته عقد معاهدة بين المهدي والحكومة المصرية ، ثم يبين لصديقه أنه فى حالة اعتزامه الذهاب الى المهدي ، فعليه أخذ بعض الخطابات المختومة بخاتمه لاستخدامها كدليل على أنه صديق مخلص للعالم الاسلامى ، وأنه كان الواسطة التى أنقذت حياته وحياة رفاقه (٦٠) .

ومعروف أن بلنت كان على صلة بالمسؤولين ، وقد يكون مثل هذا الاتجاه عرض على بساط البحث ، وخاصة أن الثورة المهدية أقلقت

مضاجع بريطانيا ، وكانت شغوفة على اخمادها بأية صورة ، أيضا
سابق أن وضع خشيتها من وجود صلة بين عرابى والمهدى ، ولكن
سرعان ما أوصد هذا الباب بانتصارها • ولم تضم الوثائق بعد ذلك
أية اشارة لارتباط عودة المنفيين بانخراطهم فى الحياة السياسية ، حيث
اقتصر نشاط بلنت على السعى وبذل الجهودات لاسقاط حكم النفى
والعفو عن عرابى ورفاقه كما سيتبين فى حينه (٦١) •

ومثلت شخصية برودلى ثقلا فى علاقة المنفيين بغير المسؤولين من
انبريطانيين ، وهو أحد المحامين الرئيسيين اللذين توليا قضية الدفاع
عن عرابى ورفاقه ، ومن المسلم به أن تنشأ عاطفة بين المتهم والوكيل
للدفاع عنه أمام المحكمة ، اذ يغمر الأول الاحساس بأن حياته قد
وضعا بين يدى محاميه ، وبالتالي فالأخير يقوم بمهامه مدققا فى كل
كلمة يحملها القانون وباحثا عن كل ثغرة ينفذ منها لينقذ موكله • ومما لاشك
فيه أن برودلى أدى دوره بكفاءة ، حقيقة كان الحكم متفقا عليه ولم
يتطلب الأمر شروحات قانونية ، لكنه كسر من الجمود وخفف عن
المسجونين وتمكن من اقامة جسر من الصداقة استمر حتى النهاية ،
وبطبيعة الحال كان عرابى ورفاقه وهم فى حالة من الضعف والهوان
فى أشد الحاجة لمن يقف بجوارهم فى ذلك الوقت العصيب ، ووجدوا
فى برودلى اليد المخففة لآلامهم ، وقد لازمهم طوال الفترة التى قدموا
فيها للمحاكمة الى وداعهم وقت الرحيل •

وقد تبين من خلال المراسلات التى جرت بين المنفيين وبلنت
أن عرابى نال الحظ الأوفر منها ، ولكن اذا نظرنا الى الخطابات المتبادلة
بينهم وبين برودلى نجد هناك اختلافا ، فالسبعة كتبوا له ، بالتالى يرد
عليهم ، فلم يكد يمر شهر حتى يتسلم كل طرف خطاب من الآخر ،
وأحيانا كانت الخطابات جماعية ، واعتبرت صورة حية لمعيشتهم ،
حيث سطرت الظروف التى عاشوا فيها • ومما يذكر أنهم كانوا سعداء
لتعلمهم اللغة الانجليزية ليكتبوا له بها ، ومن الملاحظ أن الخطابات التى

وصلته في الفترة الأولى كانت باللغة العربية ، ثم أصبحت باللغة الانجليزية ، ومن خلالها نلمس الحب الذي جمعهما ، والمجاملات التي حرص عليها الطرفان ، فيتبادل الجميع الصور بينهم حيث يعتبرونها تنوب عن المشاهدة ، وعندما يقوم برودلى بنشر مؤلفه المتضمن الدفاع عنهم ، تتوافد عليه خطابات الشكر منهم (٦٢) .

وتتضح السمة الخاصة بأن المنفيين لا يزالون يعتبرون أن محاميهم قادر على استرجاع ممتلكاتهم — على أساس أن الحكم الصادر بالنفي لم يدرج به ما يتعلق بالتجريد منها ، وأن من سبق وحكم عليه بنفس الحكم حفظت له أملاكه — وتسوية أمورهم المالية الخاصة بالديون، واسترداد نياشينهم ، والسعى للإفراج عنهم لدى المسؤولين في لندن ، كما يشكون حالهم وفاقتهم ، وييسطون أمامه طلباتهم (٦٣) . وقد انفرد عرابي بتسطير الكلمات الخاصة بالحالة السياسية ، فبين أن المنفيين لم يقترفوا اثماً وانما دافعوا عن بلادهم ، وأنهم ليسوا بأشقي من باقى المصريين الذين غمسوا في بحر المظالم ، وينتقد الأوضاع القائمة في مصر وكيف أنها تقلقه وتزعجه ، ثم ينقل آراءه في الإصلاح، وتدور حول النقاط التي سبق أن كتبها أثناء وجوده بسجن الدائرة السفينة وسلمها برودلى الى دفرن (٦٤) ، وفي ذلك وقفة مع نفسه ازاء البرنامج الذي كان يأمل تنفيذه عند نجاح الثورة . وبديهي أن السلطات المسئولة كانت على بينة من تلك المراسلات بناء على سياسة الرقابة ، ولم تجد فيها ما يشكل خطراً عليها ، وعليه استمرت ولم توقف .

وبجوار بلنت وبرودلى ، هناك شخصيات بريطانية عابرة ، فيتردد اسم دلاور ، تلك الشخصية التي قدمت المساعدات مع بلنت أثناء المحاكمة ، ومن ثم فلم ينس عرابي في كلماته الى برودلى أن يبعث بسلامه وتحياته لصاحبها واصفا اياه بنصير الانسانية (٦٥) . أيضا شكلت اللقاءات الصحفية التي حرص عليها عرابي مع الصحفيين

الانجليز عند زيارتهم للجزيرة قناة اتصال ساعدت على عرض قضية المنفيين على الرأي العام (٦٦) .

أما داخل جنة آدم ، فقد توثقت العلاقة بين بعض المنفيين وبين توماس ليبتون T. Lipton صاحب مزارع الشاي الذي وجه دعوته اليهم عام ١٨٩١ ، فلهاها عرابي وعلى فهمي بهدف التغيير ، فمنطقة المزارع جبلية مرتفعة وذات مناخ ملائم ، وسمحت السلطات البريطانية بتلك الزيارة محاولة منها لامتصاص ضيق المنفيين والحد من الشكوى الخاصة برطوبة وحرارة كولومبو . وأرسل صاحب الدعوة وكيلين لمرافقة الضيفين ، اللذين استمتعا بالطريق حتى وصلا الى المنطقة حيث التقيا بالمسلمين وزارا مسجدهم ، ثم نزلا في ضيافة ليبتون فترة عدا بعدها الى مقرهما (٦٧) .

ومن المسلم به أن هذا التحرك رصد جيدا ، كما أن تلك العلاقة التي ربطت عرابي بذلك الرجل البريطاني أثارت بعض القلق ، فحينما نشرت الصحيفة السيلانية Over Land Times أنه عند سفر ليبتون ، وقبل صعوده للباخرة كان عرابي في وداعه مما ساعد على اذاعة صيته ، سأل ابراهام Abraham عضو البرلمان وزير المستعمرات عما إذا كان قد بدا من عرابي أى تجاوز أو تمادى في اساءته لاستعمال الامتيازات الممنوحة له ، وهل من الممكن انتقاصها أو وضع نهاية لحجزه في سيلان ؟ (٦٨) . بمعنى الحد من تحركاته أو اطلاق سراحه . وهكذا يتبين أن العلاقة التي ربطت بين الانجليز والمنفيين اتخذت أنماطا متعددة ، اذ سعى كل طرف فيها — بطريقته الخاصة — الى تنفيذ سياسته وتحقيق أهدافه من منطلق الامكانيات التي يمتلكها .

هوامش الفصل الثاني

- (1) F.O. 78/4267, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 12, 1883.
- (2) Ibid, Declaration May 2, 1883, Dufferin — F. O, Cairo, June 5, 1883.
- (3) Ibid, Longden — Derby, kandy, Jan. 21, 1883.
- (4) Ibid.
- (5) Ibid, Downing Street — The Under Secretary of State (F.O.), Feb. 20, 1883.
- (6) Ibid, Downing Street — F.O, Dec. 11, 1883.
- (7) Ibid, F.O. — Colonial Office, March 8, 1883.
- (8) Ibid, Douglas — Derby, Colombo, Oct. 29, 1883.
- (9) Ibid, Downing Street — F. O, Dec. 11, 1883.
- (10) F.O. 78/4268, Campbell — Gordon, Colombo, Aug. 27, 1883.
- (11) Ibid, Gordon — Derby Colombo, Dec. 19, 1883, Campbell's Report, Dec. 3, 1883.
- (12) Ibid.
- (13) Ibid, Campbell — Governor of Cylon, Colombo, March 1884.

(١٤) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٠ .

- (15) F.O. 78/4267, Longden — Derby, kandy, Jan. 21, 1883, Downing Street — Under Secretary of State (F.O.), Feb. 20, 1883.
- (16) Ibid, F.O — Colonial Office, March 8, 1883.
- (17) Ibid, Dufferin — Granville, Cairo, April 16, 1883, No. 119.
- (18) Ibid, Downing Street, May 9, 1883.

(19) F.O. 78/4268, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883.
Campbell's Report, Dec. 3, 1883.

(20) Ibid, Gordon — Derby, April 11, 1885.

(21) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, May 27, 1885.

(22) F.O. 78/5176, F.O, June 30, 1897.

(٢٣) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٠ . كذلك فاتح بلنت
عرايى فى الطريق الذى يمكن اتباعه لانتهاء ثورة المهدي ، كما عرض عرابي
وساطته فى هذا الشأن كما سيتضح عند تناول الحديث عن العلاقة مع
بلنت .

(24) Arabi — Anne Blunt, Colombo, March 2, 1885 in Blunt :
Gordon At Khartoum, pp. 548, 549.

(25) Ibid.

(26) Chaillé — Long — Bey : Les Trois Prophetes :
le Mahdi, Gordon, Arabi, pp. 257, 276.

(27) F.O. 78/4589, Pall Mall Gazette, Jan. 27, 1892.

(٢٨) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٩٥ .

(٢٩) نفس المصدر ، ص ص ٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(٣٠) نفس المصدر .

(31) Ninet, J : Arabi Pacha, pp. XVII, XVIII.

(٣٢) عبد الله النديم ، المصدر المذكور ، ص ص ٢ — ٧٥ .

(٣٣) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٥٨ .

(34) F.O. 78/4267, Longden — Derby, Kandy, Jan. 30, 1883.
No. 41.

(٣٥) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ .

(36) Broadley . op. cit., Vol. III, The Out Look, Sept. 30,
1911.

(37) Ibid,

خطاب من عرابي الى برودلى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٥ .

- (38) Ibid, The Graphic, Sept. 30, 1911.
- (39) F.O. 78, Op. Cit., Longden — Derby, Colombo, July, 1883.
- (40) Broadley : Op. Cit., Vol. III, The Daily Graphic, May 27, 1901, The Out Look, Sept. 30, 1911, Budport News, Oct. 15, 1911,
- أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٠ .
- (٤١) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٦١ .
- (٤٢) انظر الفصل الرابع .
- (43) F.O. 78/4589, Ledivant — Colonial Office, Bangalore, Dec. 3, 1890.
- (44) F.O. 78/4268, Greogorey — Derby, Hyde Park Corner, May 30, 1884, F.O — Colonial Office, F.O, July 24, 1884, F.O — Greogory, F.O, Dec. 1st, 1884.
- (45) Broadley : Op. Cit., Vol. III., The Daily Graphic, May 27, 1901.
- (46) F.O. 78/4267, Blunt — Broadley, Sussex, June 6, 1883.
- (47) Ibid, Toulba Esmat — Blunt, Colombo, May 14, 1883.
- (48) Letter Received in London, Aug. 14, 1883 from Arabi, Dated Colombo, July 7, 1883, Letter From Arabi To Blunt, Colombo, Nov. 10, 1883 in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 537, 543.
- مما يذكر أن عرابي كان يرأسل أيضا صابونجي — محرر صحيفة النحلة وصديق بلنت واستخدم كمبعوث خاص له لدى العرابيين — بناء على مراسلته له ، وقد استعرض أحداث الثورة وما تعرض له الجنود المصريون أثناء الحرب وكيف أغدقت عليهم التبرعات من كافة عناصر الأمة .
- Letter Received Aug. 14, 1883, From Arabi To Sabunji, Op. Cit., p. 541.
- (49) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Colonial Office, Oct. 24, 1883.
- (50) Ibid Douglas — Derby, Colombo, Oct. 11, 1883.

(51) Ibid, Oct. 29, 1883.

(٥٢) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، صص ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(53) F.O. 78, Op. Cit., Douglas — Derby, Colombo, Oct. 29, 1883.

(54) F.O. 78/4268, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883, Campbell's Report, Dec. 3, 1883.

(55) Ibid.

(٥٦) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٥٩ .

(57) Blunt — Arabi, London, April 26, 1884 in Blunt : Gordon At Khartoum, p. 544.

(58) Ibid.

(59) Ibid, pp. 544, 545.

(60) Arabi — Blunt, Colombo, June 2, 1884 in Blunt : Gordon At khartoum, pp. 547, 548.

من المعروف أنه جرت مساع للامير حليم والخديو اسماعيل من أجل عرش مصر اثناء الثورة العرابية ، وبينما ايد العادة الثوار الاول لنظوا الآخر .

(٦١) انظر الفصل الرابع .

(62) Broodley : op. cit., vol. II.

(63) Ibid, Vol. II, III.

من الطريف أن خطابات بعض المنفيين تبدأ بنداء « صديقي العزيز وروح حياتي مستر برودلي » .

(64) Ibid, Vol. II, Arabi — Broadley, Colombo, Dec. 8, 1883,

أهم هذه الاصلاحات ، أن تكون مصر للمصريين لا ملكا لشخص واحد أو عائلة واحدة ويتحول أهلها الى عبيد ، وينتخب الوالى — بمعرفة رؤساء الأمة — من الذين حسنت سيرتهم من المصريين ويكون عالما فاضلا عفوناً

محبوباً مقنناً بالقوانين ومنفذاً لها ، وينتخب مشايخ القرى والبلدان بمعرفة الأهالى الذين اشتهروا بالطهارة وحسن المعاملة ، ويشكل مجلس نواب لعرض اللوائح والقوانين عليه وواجبه حفظ حقوق الأمة وتطبيق قاعة المساواة فى الضرائب بين السكان قاطبة ، ويوضع حد للمرابين الذين يسلبون الأهالى ، وتبطل السخرة ، وتلغى المحاكم المختلطة ، وتوحد القوانين القضائية ، ويكتفى بالموظفين الأجانب بقدر الضرورة ، وتترك السودان للمهدى بشرط تبعيتها لمصر وتدفع خراجاً سنوياً ، وتحفظ قناة السويس بكفالة جميع الدول الموقعة على معاهدة برلين وفى مقابل تنازل مصر عن حقوقها تعوض بمبلغ كاف لتسديد ديونها ، ويخفض الدين المصرى ومائدته ، ويخفض وركو الآستانة ، وتسهل المعاملات التجارية مع الدول ، وتعديل الضرائب وفقاً لحالة الأراضى ، وينتهى عرابى ببعض الإصلاحات الخاصة بالمقابلة وديون الأهالى .

(65) Ibid, Vol. III, Arabi — Broadley, Colombo, June 10, 1883.

(66) Ibid, The Daily Graphic, May 27, 1901.

(٦٧) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٦١ — ٦٦٣ .

(68) F.O. 78/4589, Parlimentary Question, W. Abraham, Jan. 27, 1892.

الفصل الثالث

الحياة في جنة آدم

مثلت حياة المنفيين فى جنة آدم صورة حملت بين طياتها البؤس والشقاء والضيق ، حيث أحيطوا بظروف مادية ونفسية ومرضية صعبة ، انعكست على تصرفاتهم وعلاقاتهم ، ولم تثمر أية مجهودات للتحسين من أوضاعهم الا بالنزى اليسير ، وتعثرت رغباتهم وحيل دون تحقيقها ، ورغم ذلك لم يصمتوا ، وانما مضت توسلاتهم للخروج من الجنة ، وواصلوا المساعى من أجل العودة الى مصر ، لكن الراضين أصرأ على موقفهم .

كانت للحالة المالية لعراى ورفاقه دورها فى جفاف وقسوة الحياة فى المنفى ، فبعد صدور الأمر الخديوى فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ بمصادرة أملاكهم ، رفعت مذكرة من نظارة المالية لرئاسة مجلس النظار بشأن ترتيب معاش لكل منهم يبلغ ٣٠ جنيها بالروزنامة ابتداء من ٢١ ديسمبر ، وأن تتولى النظارة توصيله ، وتمت الموافقة ، وصدر قرار مجلس النظار فى هذا الصدد فى ١٥ فبراير ١٨٨٣ ^(١) . وسافر المنفيون ، وفى أول لقاء لهم مع حاكم سيلان ، طلبوا العمل على رفع المبلغ المسموح به لهم الى ٥٠ جنيها حيث ان المقرر لا يفى بأعبائهم رغم التقشف الذى يعيشون فيه ، ويبلغ لونجدن وزير المستعمرات بالطلب وبأنه أفهمهم أن يضعوا فى الاعتبار دفع ايجار المنازل التى يقطنونها عند حلول ميعاد الاستحقاق ، ثم يعلق بقوله « وانى أرى فعلا أن هذا المبلغ غير كاف خصوصا لأصحاب العائلات الكبيرة مثل على فهمى ، وأوصى بالعمل على رفعه ببحث الأمر مع الخديو » ^(٢) .

ويبعث عراى للحاكم بخطاب فى هذا الشأن ، فيرفعه الى وزير المستعمرات الذى يرى أن الطلب معقول ، ويطلب مخابرة الحكومة المصرية فى زيادة المعاش بمعدل ٢٠ روبية يوميا ^(٣) . ويرسل وزير

الخارجية لدفرن للاتصال بالمسؤولين المصريين وتحقيق المطلوب ،
 ويلتقى المبعوث البريطاني برئيس النظار ويعرض عليه الأمر ، فيبين له
 سوء الحالة الاقتصادية مما حدا بالحكومة الى الاستغناء عن عدد من
 موظفيها ليس لديهم مورد غير مرتباتهم ، وأن المبلغ الذى يرسل للمنفين
 سنويا ، بالإضافة الى ما تدفعه الحكومة كفرق تحويل العملة يكلفها
 الكثير ، وأن أى زيادة تدرج فى الميزانية تؤدى الى حرج مركزه ومركز
 زملائه ، وما لبث أن توصل دفرن الى حل وسط ، وذلك بأن ترسله
 الحكومة مبلغ ٥٠٠ جنيه اضافية الى حاكم سيلان يقوم بتوزيعها عليهم
 وفقا لما يراه (٤) . واجتمع مجلس النظار وقرر تلك المنحة السنوية
 فى ٢٨ مايو ١٨٨٣ بحيث يوزعها الحاكم حسب احتياجات كل منهم ،
 وورد بذلك اخطار الى نظارة المالية ، كما تقرر احتساب المبلغ من
 الاحتياطي الوارد فى الميزانية (٥) .

ووضح تعاطف لندن فى هذه المسألة ، وكانت قد رأت قبل صدور
 قرار مجلس النظار بأيام ، ضرورة تصرف الحكومة المصرية ، ليتمكن
 المنفيون من مواجهة المعيشة مع أسرهم ، وحتى لا يتعرضون لأزمات
 مالية تكون دائما موضع شكواهم لدى الحاكم ، كما أشارت الى أنها
 تقصد العمل على راحتهم ، هذا فى الوقت الذى طلبت فيه أن تتحمل
 حكومتهم ايجار المنازل المؤقتة التى سكنوا فيها وثن أثاثها دون الخصم
 من معاشاتهم الشهرية ، كما لحت بأن ذلك لن يقوى من شكيمنتهم ، وأنهم
 لايعتبرون خطرا عليها خلال اقامتهم فى سيلان (٦) . وذلك بعد أن
 أمنت نفسها .

ونشأت مشكلة ، وتعددت الأمور بخصوص توزيع المنحة ،
 ومما يلاحظ أن عرابى حصل على نصيب الأسد منها ، فقد خصص
 له ١٨ جنيها ، ٧٥٢ مليما (٧) ، فهل كان هناك حرص على ارضائه بمنحه
 هذا المبلغ دون الآخرين رغم أن غيره كان يعول أكثر منه ، وهل جاء
 ذلك نتيجة لتوصية ؟ لقد أشار دوجلاس فى خطاب له لوزير المستعمرات

بأن هذه الزيادة بناء على موافقة الحكومة المصرية ، وربما وضع فى الاعتبار أنه رئيس الجماعة وعليه الترامات فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية الجديدة وما تتطلبه من مصروفات ، وأصبح المبلغ المتبقى حوالى ٢٧٥ جنيها ، ويذكر نائب حاكم سيلان لدربى أن مسألة التوزيع ليست سهلة ، لأن المنفيين يشكون من الفقر ومصادرة أموالهم ، وأن من معه عدد صغير من أسرته يبين أن وراءه عددا آخر مسئولا منه فى مصر ، ثم يعرض عليه المعلومات التى جمعها ، وهى توضح أن زوجتى محمود سامى وعلى فهمى لهما ممتلكات تسمح لهما بالعيش ، وأن يعقوب سامى ميسور الحال ، أما محمود فهمى وطلبة عصمت وعبد العان حلمى فليس لديهم الا معاشاتهم ، وعليه فقد خصص لهم المبلغ المتبقى بعد أن حجز منه ١٧ جنيها للطوارئ (٨) .

وولد هذا الوضع مرارة بينهم ، وتظلم يعقوب سامى معتمدا على أساس أنهم جميعهم فى المنفى سواء ، وكلهم يعتبرون فقراء ، ولابد من معاملتهم بالتساوى ، وتبعه من شعر أن الظلم وقع عليه (٩) . ورفع الأمر الى لندن ، فأشارت بأنه بعد تخصيص المبلغ المقرر لعربى من المنحة ، تطبق المساواة على الباقي ما عدا محمود سامى حيث لا يستحق رفع معاشه لأن أيراد زوجته فى مصر ٣٠٠٠ جنيه ، وأنه اذا تظلم أحد من الخمسة ، فعليه اثبات دخل الباقيين حتى يمكن تمييزه عنهم (١٠) . وانتهى الأمر بأن تمتع بالزيادة ثلاثة منهم فقط ، لكنهم عادوا ووافقوا على التنازل عن مبلغ من الروبيات لزملائهم ليتساووا معهم ، ورفض عربى اعطاءهم جزءا من الزيادة التى خصته (١١) .

وعلى أية حال ، فان تلك الزيادة قد أثارتهم أكثر مما نفعتهم ، وظل باب الشكوى مفتوحا ، وتعددت التظلمات من طلبة عصمت ويعقوب سامى وعلى فهمى ، ويبين الأخير أنه يعول ١٤ شخصا مقيمين معه ويتحمل مصاريف المدارس التى تصل الى ١٩ جنيها شهريا ، وأن

ما يتبقى له لا يكفى للغذاء والمعيشة والعلاج^(١٢) ، خاصة وأن مرض زوجته كلفه الكثير . ويبحث طلبه عصمت الى لابوشير Labouchere - عضو البرلمان البريطانى - ليصف له سوء حالته المعيشية ويطلب رفع معاشه ، فيكتب العضو الى وزارة المستعمرات ، ويعرض وجهة نظره التى تضمنت وجوب رفع الحكومة المصرية لما يتقاضاه المنفيون ، حتى يتمكنوا من المعيشة ، ويغطوا النفقات المطلوبة منهم خاصة وهم مسئولون عن عائلاتهم ، وأنهم كانوا قادة فى بلدهم وأرسلوا الى سيلان بواسطة بريطانيا ، وبالتالي ليس من المعقول أن يعطوا منحا لا تكفيهم ، وأن هؤلاء الرجال سوف يعودون الى بلدهم ان عاجلا أو آجلا ، ولذا فلا بد أن يكون البريطانيون أصدقاء لهم^(١٣) .

ووضعت جميع مكاتبات المسئولين البريطانيين المتعلقة بسوء الحالة المالية للمنفين أمام جرانفل ، وكلها تؤيد التطلعات المرفوعة منهم ، وبعد دراستها رأى وزير الخارجية صعوبة امكان رفع المعاشات مرة ثانية ، وانتهى الى أنه ليس لحكومة جلاله الملكة سلطة التنفيذ ، وأنه يمكن لحاكم سيلان التصرف بحرية فى المنحة ، وأن عليه عمل ما فى وسعه لتلبية رغبات المنفيين^(١٤) . ويتضح من ذلك أن الخارجية البريطانية لم تكن لتظهر الرغبة فى الضغط على الحكومة المصرية مرة أخرى ، فى الوقت الذى حملتها فيه أجور البوليس المكلف بحراسة المنفيين والأجور الإضافية للحراسات الليلية وأجور البوليس السرى^(١٥) . ومن الثابت أن جرانفل ساق حجة واهية واستند عليها حيث من المسلم به قوة اليد البريطانية على مصر .

ولعبت مسألة الديون دورها فى الشكوى على أساس أنها توصلت باب القول بأن زوجات بعضهم أغنياء ، فقد عرض على اللجنة المالية سندات بمبالغ كبيرة محررة من محمود سامى لدائنين من الأجانب ، أيضا لبعض المقربين اليه مثل حماد^(١٦) . كما شكأ على فهمى وزوجته لبرودلى وطلبا منه التدخل لدى الحكومة لانقاذ نصف المنزل

الذى رغبت فى اشهار بيعه بالمزاد اعتمادا على سندات تؤكد حق الزوجة فى ديون مستحقة لها على زوجها ، واتضح أن ممتلكاتها امتدت اليها يد الحكومة ، فاستولت على بعض الأراضى والمنازل والمركبات الخاصة بها (١٧) . وواصل المنفيون طريق الاستعطاف بالتماساتهم للمسؤولين البريطانيين — رئيس الوزراء ووزير المستعمرات وأعضاء البرلمان — يستجدون فيها لرفع المبلغ المقرر لهم ويسجلون مصروفاتهم بالتفصيل والضيق الذى يعانونه (١٨) . ومن الملاحظ أن عرابى لم يكن يشترك فى تلك الشكاوى ، والسبب أن ما حصل عليه من زيادة فى معاشه كفل له الحياة دون ضنك .

ومرة أخرى يكتب حاكم سيلان الى لندن ، ويرفق بكتابه التماسات جديدة للمنفيين ، ويذكر أنه وفقا لتحرياته يدلى بالقول أن أصحاب الطلب يعيشون أزمة مالية ، وأن هناك من الأسباب ما يدعو الحكومة المصرية لزيادة المبالغ التى يتقاضونها لمواجهة أعباء المعيشة (١٩) ، وعرضت وزارة المستعمرات الأمر على الخارجية البريطانية ، فأفادت بأنها ستقوم بالاتصال بنوبار رئيس النظار لزيادة المعاشات (٢٠) . وبالفعل حررت للقنصل البريطانى العام فى القاهرة للتفاهم مع المسؤولين فى رفع المبلغ ٤٤٤ روبية — ما يعادل ٤٥ جنيها — شهريا ليوزع عليهم ما عدا عرابى ، مبينة أنها ناحية انسانية ، وأنه لا بد من العمل ليتمكن هؤلاء من المعيشة ، وجوب اتمام هذه الزيادة فى وقت قريب ، ووفقا لذلك فان الحكومة المصرية ستكلفها الزيادة ٢٥٢ جنيها سنويا علاوة على المنحة السابقة ، ويصبح المبلغ الذى تتحمله ٣٣٠٧ جنيها سنويا (٢١) .

ولم تنقطع شكاوى المنفيين رغم ما وعدوا به ، فبعثوا بها الى روزبرى فى مارس ١٨٨٦ (٢٢) . وفى تلك الأثناء أجرى بيرنج Baring المعتمد البريطانى فى مصر اتصالاته بنوبار ، ووافق الأخير على زيادة المنحة وفقا لما حددته الخارجية البريطانية ، وأن يقوم حاكم سيلان بتوزيعها حسبما يتراءى له (٢٣) . وقدمت اللجنة المالية مذكرتها الى

مجلس النظار فى هذا الشأن ، وتقررت الزيادة (٢٤) * وأبلغ المعتمد البريطانى لندن أنه علم من تيجران ناظر الخارجية بالنيابة أن تلك الزيادة وسابقتها هى منحة دائمة وغير مؤقتة (٢٥) * ووزعت المنحة الجديدة على المنفيين ، ومع ذلك نجد عبد العال حلمى يشكو الفاقة ويبين أن تعليم ابنه يكلفه ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا بكلية توماس الانجليزية (٢٦) * وبطبيعة الحال لم يكن هناك أى أمل فى زيادة أخرى *

وبعد مضى ستة أشهر على صرف الزيادة ، فوجىء يعقوب سامى بخصم خمس معاشه — ما يقرب من ٨ جنيهات — فقدم شكواه لمعرفة السبب ، وبعث حاكم سيلان يستفسر مبينا أن استقطاع أى مبلغ من مقررات المنفيين يؤدى الى اضطراب معيشتهم ، وأنه يجب تسليمها كاملة ، وأن أى ديون سابقة على أى منهم فى مصر يجب عدم خصمها من معاشاتهم ، وخاصة أن الحكومة المصرية صادرت جميع أملاكهم ، وما يقبضونه يفى بحاجتهم المعيشية بكل صعوبة ولا يمكن أن يمس بأى حال من الأحوال ، وأن هذا يؤدى الى اللقاء العباء على حكومة جاللتها التى لن تتحمل دفع أى نفقات تتعلق بهم (٢٧) * وتجبى لندن بالافادة أنه قد تم الاتفاق مع الحكومة المصرية عام ١٨٨٢ على وصول المبالغ كاملة للمنفيين وعدم خصم أى جزء منها لصالح ديونهم فى مصر ، ومن ثم أخطرت القاهرة بذلك (٢٨) *

ووصلت تلك التعليمات مرفق بها عريضة يعقوب سامى ، وعلى الفور التقى بيرنج برئيس النظار فى ١٠ فبراير ١٨٨٧ وعرض عليه الأمر وشرح له الموقف ، وفى اليوم التالى وصله الرد ومرفق به رأى المستشار القانونى للحكومة ، ويتبين منه أن خصم المبلغ كان بناء على حكم صادر ضد يعقوب سامى من المحكمة المختلطة لوفاء دين عليه قيمته ٢٠٠٠ جنيه لصالح الدائن « كاثير وشركاه » ، وأن المحكمة أخطرت البنك مباشرة لاستقطاع المبلغ ، وأنه طبقا للمادة ٤٩٠ من

القانون المدنى المختلط لأبد من خصم خمس معاشه الشورى ، حيث ان ما يتعلق بأرضه التى صادرتها الحكومة قد أشهرت بيعها وسددت جزءا من ديونه واستولت على متطلباتها ، واختتم الرد بأن الحكومة لا تعتبر مسئولة عن تحمل ديون المنفيين ^(٢٩) . وأعدت مذكرة فى هذا الشأن للعرض على سولسبرى Salisbury رئيس الوزراء البريطانى ، وذيلت بأن المنحة المقررة للمنفيين تمت باتفاق بين الدولتين ولا يجوز الخصم منها ^(٣٠) . ونتيجة لذلك صدرت التعليمات للقاهرة باعادة الاتصال برئيس النظار لانهاء المسألة لصالح المتضرر ، وبالفعل أصدر أمره ليس فقط بعدم خصم جزء من معاشه وصرفه كاملا ، بل واعادة الفرق الذى انتزع منه ^(٣١) . والواقع أن لندن أمكتها التفرقة بين السياسة الاحتلالية والعمل على الظهور بشكل المتعاطف مع من لا حول لهم ولا قوة . حقيقة أن الأعين راقبتهم ، لكن الحرص على جعل معيشتهم دون الكفاف كان محل الاهتمام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الحفاظ على رباط الصداقة الذى ربطهم بها والتأكيد على الولاء لها وضعا فى الاعتبار .

واستقرت الحالة على الوضع المالى القائم دون قلق ، وعندما توفى عبد العال حلمى قررت الحكومة فى ١٩ أبريل ١٨٩١ صرف معاش لزوجته قدره ٣٠ جنيهًا بناء على التماسها ، وحجزت ما تبقى من نصيبه رغم ميول بعض المسؤولين البريطانيين فى توزيعه على باقى المنفيين ما عدا عرابى ^(٣٢) ، مع العلم بأن مصروفاته زادت نتيجة لزواجه وانجابه . ومما يذكر أن الطلب الذى تقدم به فى هذا المجال هو ابداء رغبته فى الحاق ابنه ابراهيم بالعمل لدى نظام حيدر آباد راجيا أن يجد الشباب من أولاد المنفيين عملا يتعايشون منه ، مبينا أن ابنه كان فى زيارة لتلك المنطقة ، ووجد فرصته بها ، ثم ينتقل الى أنه يعول عددا كبيرا من الأولاد ويلزم لهم مصاريف من تعليم وخلافه والمعاش الذى يتقاضاه محدود ، ولذا فهو يشجع كل من يقدر على العمل من أولاده

ليساعد على المعيشة ، ويشير الى أن خدمة ابنه لن تتعارض مع السياسة البريطانية في الهند ، ويبحث ردجوى Ridgeway حاكم سيلان للندن ليخبرها أنه حول الطلب الى مفتش عام البوليس الذى لم ير مانعا ، وأنه هو نفسه يزكى مثل هذا العمل ، وعليه فقد أخطر حكومة حيدر آباد ، ويطلب الموافقة حتى تتخذ الاجراءات لتحقيق طلب عرابى (٣٣) . وبذلك تتضح الظروف المادية التى فرضت نفسها على هؤلاء الرجال الذين عاشوا يتضرعون من أجل لقمة العيش ، وان تفاوتت الطرق التى استخدموها .

ولم يكن الضيق المالى وحده الذى أحاط بالمنفيين ، فقد أسهم الوقوف أمام رغباتهم الشخصية فى التعاسة التى عشت داخل حياتهم ، فعند سفرهم لم يسطحب الا ثلاثة منهم زوجاتهم ، وتركوا باقى الزوجات فى مصر ، اما لكون بعضهن كانت حالتهن الصحية لا تسمح لهن باسفن مرافقات لأزواجهن ، أو لأنهن لم يعرفن كيف ستكون الإقامة فى سيلان فرفضن ، أو أنهن فضلن انتظار ما سيتم بخصوص أملاك أزواجهن (٣٤) . وعندما استقرت الأوضاع ، لم تنقطع طلبات المنفيين بخصوص احضارهن ، فبيعت عرابى الى برودلى مبينا أن الحكومة المصرية لم تف بالوعد الذى قدمه دفن له بارسال عائلته — زوجته وباقى أولاده — على نفقتها ، لأنه ليست لديه الامكانيات المادية ليتولى مصاريف سفرها (٣٥) ، وفى الوقت نفسه يبلغ دفن لادن برغبة زوجة عرابى فى اللحاق به بعد شفائها (٣٦) . ويحذو عبد العال حلمى وطلبة عصمت حذو عرابى ، فيقدمان التماساتهما الى حاكم سيلان بطلب احضار عائلتيهما من مصر على نفقة الحكومة المصرية وعدم قدرتهما على تحمل ذلك ، ويرفق لونجدن التماساتهما مع كتاب له لوزير المستعمرات (٣٧) .

وكانت حالة طلبة عصمت تستدعى الاشفاق لمرضه وحاجته لزوجته لتكون بجواره والتى لم تتمكن من السفر معه لمعاناتها من مرض فى عينيها ، ولذا فقد تركها بناء على نصيحة برودلى له حتى يتم

شفافاً وتلحق به ، وعاشت فى حالة سيئة اذ لم يتمكن من ارسال أى مبلغ لها ، وبالتالي باعت كل ما تملك لتعيش وتتفق على علاجها (٣٨) . وتبلغ الخارجية البريطانية ممثلها فى مصر ، فيجربى اتصالاته مع وكيل مظارة الخارجية المصرية ، ويعلم منه أن رئيس المظارة لا يمانع فى سفر الزوجتين ودفع النفقات طالما أنهما لا تبديان روحاً ثورية (٣٩) . وطلبت الخارجية البريطانية من وزارة المستعمرات اعلام المعنيين بالأمر بموافقة الحكومة المصرية بالرغم من أنها كانت قد صرحت للمنفيين باصطحاب زوجاتهم ، وأن من يتخلف تسقط نفقة سفره ، ولكنها تنازلت عما صرحت به ، أما فيما يختص بزوجة عرابى ، فانه اذا عاود طلب حضورها اليه ، يتولى دفرن الحصول على تصريح لها بالسفر على نفقة الحكومة المصرية (٤٠) .

وعاود عرابى الطلب ، فتكلم بيرنج مع تيجران ، فأبلغه الأخير أن محمد شريف لا يعارض فى سفرها ، وعند التنفيذ أبدت الزوجة عدم رغبتها فى مغادرة مصر (٤١) ، ولا يعرف السبب الحقيقى لرفضها . أما بالنسبة لسفر زوجتى عبد العال حلمى وطلبة عصمت فقد عادت الحكومة المصرية وأرجأته دون ذكر السبب ، وربما اختص بتكلفة السفر أو الرغبة فى التعذيب والانتقام ، وكثرت شكاوى الزوجين وزوجتيهما الى المسئولين البريطانيين الذين رفعوا الأمر للخارجية البريطانية التى أخطرتهم بأن الأمر يتوقف على خديو مصر وحكومته (٤٢) . ومما يذكر أن الاتجاه داخل سيلان كان يؤيد تلبية طلب الزوجين سواء الحاكم العام أو مفتش عام البوليس ، والأخير رأى فى ذلك اتماماً لراحتهما وقضاء على قلقهما فى مقابل كلمة الشرف التى أعطوها ووفائهما لتعهدهما ، وأنه يمكن ابحار الزوجتين على باخرة نقل خاصة بالجنود (٤٣) .

والجأ هذا الوضع المعلق الى أن يرفع الزوجان طلبهما بأن يكون احضار زوجتيهما على نفقة الحكومة البريطانية (٤٤) ، وعليه رأى جرانفل

اغلاق هذا الباب فبين أنه سبق وأعطت الحكومة المصرية حق مرافقة الزوجات والأبناء للمنفيين وقت سفرهم ^(٤٤) . وفى ذلك ما يعنى أنه طالما أضاعوا الفرصة ، فعليهم تحمل النتائج . وكانت وجهة نظر وزارة المستعمرات إعادة الاتصال مرة أخرى بالقاهرة للعمل على سفر الزوجتين على نفقة الحكومة المصرية إذا كانت التكلفة معقولة ، وتم التفاهم مع جرانفل على ذلك ، وبعتت الخارجية البريطانية لمثلها بمصر فى هذا الصدد ، فكتب اليها بموافقة المسؤولين المصريين على شريطة تقسيط نفقة السفر وخصمها شهريا من المنفيين ^(٤٦) . ومن ثم وضعت العقوبات أمام تحقيق الطلب .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه اتبعت نفس الطريقة عندما شكا على فهمى من سوء حالة زوجته الصحية وعدم تحملها الإقامة فى سيلان والرغبة فى سفرها لمصر ، فحولت الشكوى الى مفتش عام البوليس لفحصها ، وبناء على ذلك كتب حاكم سيلان تقريره الى دربى موضحا أن ما جاء بالشكوى صحيح ، فالزوجة تعاني من أزمة حساسية Asthma تزداد مع رطوبة كولومبو ، وأن الزوج ليس فى استطاعته تحمل نفقة سفرها أو دفع ثمن العلاج والأدوية بعد أن نفذ ما لديه ليعطى تلك التكاليف للدرجة التى امتنعت فيها الزوجة وبناتها عن الخروج من المنزل لعدم وجود ما يرتدينه من ملابس صالحة ^(٤٧) . وكان جرانفل قد بلغ بتلك الحالة ، ولكنه وجد أن يتحمل الزوج نفقات عودة زوجته ^(٤٨) . وهكذا تعثر التنفيذ فى هذه الحالات الانسانية ولم تجد التوسلات .

ومثلت الخلافات بين المنفيين عاملا كدر عليهم حياتهم ، فمما لاشك فيه أنه فى ظل الظروف التى تعرضوا لها قبيل نفيهم ثم تلك التى أحاطت بهم من كل جهة بعده ، قد أثرت على نفسياتهم ، ورسمت لهم صورة اختلفت كثيرا عن الأصل ، فالهزيمة وما تتبعها من أحداث غرست داخلهم الاحباط ، وجعلتهم يؤمنون بالأمر الواقع ويستسلمون لما حاق

بهم ويعيشون المأساة مما انعكس على علاقاتهم ، فانقسموا على أنفسهم ، وفقدت الوحدة مكانها لديهم • ولم تظهر عليهم الخلافات فى البداية ، حيث ترجمت الخطابات التى بعثوا بها الى برودلى الحياة اللصيقة التى يحيونها حتى لقد كان منها ما يكتب على لسانهم جميعا ، وعندما كان ينفرد أحدهم بخطاب ، فهو لا ينسى أن يبعث بسلام زملائه ، كما تجمع السبعة حول هدف تعلم اللغة الانجليزية ونجحوا فى ذلك (٤٩) • ولكن بطبيعة الحال لم يستمر الوثام طويلا ، وفرضت المنازعات نفسها عليهم ، فلم يفتخروا بالبطولات التى قاموا بها ، وانما تراجع البعض منهم ، فيصرح محمود سامى وطالبة عصمت ويعقوب سامى بأن ما أقدموا عليه كان خوفا من عرابى (٥٠) • وربما يكون الدافع الرغبة فى اقضاء ما اتهموا به بعيدا ليتمكنوا من العودة الى مصر •

واتسع نطاق المشاحنات ، وبديهي أن يتعرض عرابى لنقمة البعض ، حيث دبت الغيرة بسبب تلك المكانة التى يتمتع بها فى سيلان وهذه الشعبية التى أغدقت عليه ، ووقع الخصام بينهم ، وانتشرت أصدائه داخل سيلان وخارجها ، وان جرت فى البداية بعض المحاولات للصلح وآتت أكلها حيناً حتى لقد كتب بلنت الى عرابى لينقل له سعادته عندما علم أن الأمور عادت الى مجراها كما كانت بينهم وأنهم يعيشون أصدقاء أوفياء (٥١) • ولكن سرعان ما انتهى ذلك ، وجاء زواج عرابى ليخلق بعض الحساسية وترتب عليه حدوث مقاطعة (٥٢) • وينصح عبد الله النديم عرابى فى رسالته له بالارتباط كى اذا عادوا لوطنهم لا تسيء بهم الظنون وتميل عنهم القلوب « هائثلوا قبل الاياب ، واقتلوا الضغائن بالعقاب ، وحققوا لمن عندكم ترك العدوان حتى تتركوا لكم ذكرا جميلا فى سيلان » (٥٣) •

وأعطى الاحتفال باليوبيل للملكة فيكتوريا فى عام ١٨٨٧ - العيد الخمسينى لحكمها - المثل للانقسام بينهم ، وشكل يعقوب سامى

وعلى فهمى ومحمود فهمى مجموعة ، والباقي مجموعة أخرى ، واكتتبت المجموعة الأولى بمبلغ لصالح الاحتفال أوصلته عن طريق المفتش العام للبوليس ، كما أعدت كلمة بهذه المناسبة سلمت للسكرتير الخاص للحاكم ^(٥٤) . وبناء عليه خصص لها مكان خاص فى الاحتفال بينما المجموعة الأخرى احتلت المقاعد العادية ^(٥٥) . وعندما كتبت احدى الصحف عن مشاركة المنفيين بزعامه عرابى وفهمى ، كتبت المجموعة الأولى اليها توضح أنه لم يكن على فهمى أو محمود فهمى بصحة عرابى وأن الثلاثة لم يشاركوه ، وأن كل واحد مسئول عن تصرفاته الشخصية ، وتطلب من الصحيفة تعريف العامة بعدم استعمال كلمة عرابى ورفاقه حيث لابد من ذكر الأسماء ^(٥٦) .

وسجلت الصحافة فقدان التآلف بينهم ، وتعرضت لمنازعاتهم واعتبرتهم سجناء وأسرى حرب ، وبينت أنه طالما هم تحت الحراسة ، فينبغى على حكومة سيلان أن تجعلهم معزولين ، وأن تأكيد ولائهم للملكة يمكن القول عنه انه مداراة بدليل أن عرابى لم يعط كلمة للحاكم فى يوم الاحتفال ، وأنه كان من الأفضل ألا يستعرضوا أنفسهم فى مكان يمثل فيه نواب الملكة ^(٥٧) . أما عن الكلمة التى قدمها أصحاب المجموعة الأولى فتشمل الاشادة بالملكة وسرد ألقابها وما قدمته على مدار الخمسين سنة من حكمها وما يتمنونه لها ، وأن الألم الداخلى الذى ألم بهم لمعيشتهم كغرباء قد زال نتيجة المعاملة الحسنة والراحة والعدالة ووسائل الرحمة والانسانية والاحترام الذى يلاقونه ، وأن اخلاصهم للولاء وخضوعهم نابع من القلوب ، وأنهم يلتمسون الركوع تحت أقدام عرش جلالتها ، وفى نهاية الكلمة يقدمون الشكر والأمنيات الطيبة لمثل حكومتها ، وينقلون شعور السعادة الذى ينتابهم بلا حدود لتمتعهم بامتياز مشاركتهم هذا اليوم السعيد . وتلقوا الشكر من الحاكم والوعد بنقل كلمتهم لجلالتها ^(٥٨) . وبذلك تتجلى الحالة التى وصل اليها المنفيون .

ويكتب طلبة عصمت لبرودلى فى ١٤ مارس ١٨٩٤ ليسطر له كيف كان الابتعاد عن عرابى الذى ساءت علاقته برفاقه ، ولم يعد يراه أحد منهم أو يزوره ، ويحاول أن يوقع به حيث يرجع السبب الى أنه غير راض على أن يكونوا أصدقاء له ^(٥٩) . ومن الثابت أن كاتب الخطاب كان من شيعة عرابى ، ولكن لم يكن هناك خط يلتزم به اذ بدا التخبط فى العلاقات واضحا ، ويشير عبد الله النديم فى رسالته الى عرابى لنحال المؤسف الذى وصلوا اليه ، ويلقى اللوم عليهم لمعارضتهم لقائدهم وغضبهم من غير سبب وتكاتفهم ضده ، ويتعجب من أن ذلك لم يكن فى الحسبان أن يصدر منهم ، ويستفسر عن الأسباب وينصح صديقه « اذا انحرفت بانحرافهم أبرمتهم ، واذا لاينتهم ربحتهم ، وان جادلتهم خسرتهم ، ولا تقل وعظت فأكثر ، وحذرت وأندرت ، ودعوتهم لنبلا ونهارا فلم يزدتهم دعائى الا فرارا ... فلا تضق ذرعا باخوانك وقل لهم افعلوا ما شئتم فانكم أحباب ، وهذه عوارض تمحى بانمحاء الأسباب ... ولا تعاجل وانظر الآجل وكأنك بهم وقد عادوا أحبابا ... وجاءوا اليك معترزين يوم يقال ادخلوا مصر انشاء الله آمين » ويثنى على أفعال كل منهم ، ويطلبهم باقصاء الخصام والترابط وجمع الكلمة وتوثيق العهد ^(٦٠) . وكان من الصعب عودة الوصال بعد أن زحفت الصغائر الى داخلهم واهتزت شخصياتهم ، وهذا أمر طبيعى لتلك الصدمات التى تلقوها .

وانحصر النشاط فى المنفى على تلك المجهودات المتواضعة التى بذلها بعض المنفيين فى المجال الثقافى ، خاصة عرابى ومحمود سامى اللذان أسهما فى هذا الميدان ، فكانت مهمة الأول التعبئة لانشاء دور العلم على الأسس الاسلامية ، بينما قام الآخر بتدريس اللغة العربية وعلوم الدين فيها ، والواقع أن ظروف الحياة الصعبة التى فرضت على المنفيين قيود من نشاطهم وجعلتهم يصبون اهتمامهم بالدرجة الأولى على التفكير فى الطرق التى توصلهم للخروج من

جنة آدم ، فمنذ اللحظة الأولى لوصولهم لأرض سيلان والتطلع يحدوهم الى العودة لوطنهم ، وعقدوا الأمل فى ذلك على بريطانيا اذ آمنوا أن مصيرهم بل ومصير مصر مرتبط بها ، وقد بين برودلى أنهم سيتحلون بالصبر وينتظرون العدالة ان عاجلا أو آجلا (٦١) . ومما شجعهم على تثبيت هذا الشعور أن من تولوا الدفاع عنهم بدأوا يتحركون ، فيكتب نابيير الى بلنت عقب حوالى ثلاثة أشهر من نفيهم ليشير الى دور الحكومة البريطانية فى مسألة النفى واختيار سيلان ، ثم يعطف الى أنه ليس معنى ذلك أن يقضوا حياتهم خارج بلادهم ، وخاصة أن الحقيقة تظهر أنهم غير مذنبين (٦٢) . وتبنى بلنت هذا الاتجاه وكتب لعرابى يقول « لقد كثر عدد الذين يعترفون بالخدمات التى قدمتها لمصر ، وأملى كبير لعودتك الى وطنك » (٦٣) .

وشكلت الحالة الصحية السيئة للمنفين ركيزة استند عليها لتحقيق المطلوب ، وكان طلبة عصمت أشدهم حاجة الى ترك سيلان ، فهو مصاب بداء الربو من قبل نفيه ، ولزم الفراش عقب وصوله الى كولومبو اذ ازداد المرض عليه ، وقد تناول شرح حالته لبرودلى فى شكواه التى بعث بها اليه (٦٤) . وكتب طبيبه المعالج تقريره الذى تضمن أن حالته الصحية متدهورة ، ومن الخطر بقاءه فى هذا المناخ ، وأوصى بوجوب نقله الى جهة تتناسب مع حالته ، وعليه يطلب دفن من القنصل البريطانى العام الاتصال بالحكومة المصرية لمعرفة رأيها (٦٥) . وفى نفس الوقت تقدم صاحب الشأن بطلب الانتقال الى بيروت على اعتبار أن مناخها أكثر جفافا ويتلاءم مع حالته المرضية ، ويرفع الحاكم الطلب الى لندن ، ويرد عليه دربى بأنه اذا رأى ضرورة فى نقله ، فان الحكومة المصرية تقترح أن يكون المكان الجديد الكاب (٦٦) . ويرفض طلبية عصمت اعتمادا على ما بينه طبيبه بأن حالته الصحية ستزداد سوءا اذا عاش فيه (٦٧) . عندئذ رأت الخارجية البريطانية نقله الى احدى مدن الملايو (٦٨) ، فيعارض ، أيضا يأبى الذهاب الى جفنة ، ويطلب

الاقامة فى قبرص أو سوريا أو تونس (٦٩) . وبالطبع لم يتحقق طلبه ، ويشكو حاله لوزير المستعمرات ويستعطفه ويعاتب الحكومة المصرية ، ويطلب أن تراعى الانسانية وتعمل على انقاذ حياته من المرض الذى يكلفه الكثير وقد يودى به (٧٠) . ويتملكه اليأس ويكتب لبرودلى ليعبر له عما يجول بخاطره من أنه لن يعيش ليرى لحظة العودة لأرض وطنه (٧١) .

ومع سقوط حكومة جلادستون وتولى حكومة سولسبرى عام ١٨٨٥ ، اعتقد المنفيون أن ذلك فى صالحهم ، فيكتب عرابى لبرودلى موضحا أن الوقت قد حان لأن تنظر الحكومة الجديدة فى أعمال سابقتها مع مصر حتى تتغير الأفكار بصدد المنفيين وتعلم أن أعمالهم كانت غير عدوانية ، وانما هى لرفع المظالم والامتيازات ونشر العدل والمساواة مع احترام الأجانب والمعاهدات والحرص على المصلحة العامة (٧٢) . ولم يوضع فى الاعتبار ما توقعه عرابى من الحكومة الجديدة ، فلم تستمر فى الحكم طويلا ، وعاد جلادستون للحكم فى عام ١٨٨٦ ، هذا بالاضافة الى أن السياسة البريطانية اتخذت شكلا يكاد يكون موحدا تجاه المنفيين .

وجاءت فرصة قرب الاحتفال باليوبيل للملكة فيكتوريا ليطلب المنفيون العفو عنهم بهذه المناسبة ، فكتبوا التماسا أرسلوه لها فى ٢٠ يناير ١٨٨٧ وبعثوا بنسخة منه الى برودلى ، وبالطبع حفظت ديباجته الاشادة بالملكة ، وبأنهم منفيون فى المستعمرة الزاهرة تحت حكمها ، وبعد التهنئة عرضوا حالاتهم ، فبينوا أن الحكومة المصرية قد بذلت العفو لكثير من الضباط وغيرهم من الذين اشتركوا معهم فى حركتهم ، وسمحوا لهم بالالتحاق بالوظائف ، وينتقلون الى أن بعضا من أولادهم الذين اصطحبهم معهم أتموا دراساتهم فى المدارس الانجليزية ، وعادوا الى مصر والتحقوا بخدمة الحكومة ، وأن فى هذا دليلا على حسن الاخلاص نحو الخديو ، ويعرجون على أنهم فقدوا وظائفهم

ونزلوا الى أعمق درجات الاهانة ، وتجردوا من الرتب والنياشين ، واحتجبوا عن الفرص لاسترداد ما فقدوه ، واقتربوا عن الأهل والأحباب وحرموا منهم ، ورغم راحتهم فى المنفى الا أنهم لا يمكنهم اخفاء الحقيقة ، وهى اشتياقهم للرجوع الى مصر • وأوضحوا كيف أن سلوكهم فى كولومبو يشهد عليه حاكمها ، وأنهم يتمسكون بكلمة الشرف التى أعطوها قبل سفرهم ، ثم يشكرون الملكة وحكامها لرأفتهم وعدالتهم ، ويدعون لها بطول مدة الحكم والصحة والقوة ، ويعلنون خضوعهم وطاعتهم لها والخديو ، وفى النهاية يلتزمون العتق والعودة الى الوطن (٧٣) • وتوالت بعد ذلك الخطابات الفردية الى برودلى وبلنت للسعى وراء عريضتهم للملكة (٧٤) •

وعندما حضر وليم جريجورى الى سيلان لحضور الاحتفال ، التقى بعرابى ورفاقه ونصح بالكتابة للحكومة البريطانية فى هذا الشأن ووعد بالمساعدة ، فحررت العريضة وسلمت له وشملت الرغبة فى الانتقال الى قبرص ، وحولت لندن الطلب الى الحكومة المصرية التى رفضت وخيرت المنفيين بين الكاب وزيلع (٧٥) • وواصلت الالتماسات طريقها ، وفى ١٥ سبتمبر ١٨٨٧ قدمت مجموعة يعقوب سامى التماسها الى الملكة ، واشتمل الثناء عليها وعلى الخديو ، وسرد كيفية انقاذ المنفيين من حكم الاعدام وأملهم فى الاشفاق عليهم واعادتهم مع عائلاتهم لبلادهم ، وأرفق بالالتماس كتاب الى الحاكم يستعطفونه للوساطة بعد أن خبر أخلاقهم ولمس طاعتهم فى تنفيذ التعليمات خلال السنوات الخمس للنفى ، وقام جوردن بالمهمة ورفع تظلمهم الى المسئول البريطانى وسجل « وانى أشهد لهم بحسن السير والسلوك خلال المدة التى قضوها فى المنفى ، وأرجو النظر الى شكواهم بعين الرأفة والعطف » (٧٦) • وعرض الأمر على الخارجية البريطانية ، فوجدت أنها لا ترى استعجال الحكومة المصرية ، ولكن لابد من الرد عليهم ، وأرسل بيرنج مذكرة بالمسألة الى « ذو الفقار » ناظر الخارجية ،

ووصلته الاجابة بأن الحكومة لا تمنع فى عودة عائلاتهم فى حالة رغبتهم ، ولكنها لا توافق على عودتهم ، وطلبت اخطارهم بذلك (٧٧) .

واطلع المنفيون على رد الحكومة ، وطلب يعقوب سامى من الحاكم سفر عائلته ، وعليه بعث جوردن الى سولسبرى يعلمه بأنه أعطى التصريح ، ويرجو اخطار القنصلية البريطانية فى القاهرة لعمل التسهيلات ، وتكتب الخارجية البريطانية لبيرنج لتبلغه (٧٨) . وكف المنفيون عن التماساتهم بعض الوقت ، وفى تلك الأثناء كان بلنت يواصل مساعيه من أجل عودتهم ، فقد التقى بدفرن فى السفارة البريطانية بروما فى ١٦ نوفمبر ١٨٨٩ ورجاه فى هذا المصدد (٧٩) . ولم يلبث الأمر أن قدم المنفيون للحاكم التماسا يحمل طلبهم المعبود ، ومرة أخرى يزكيهم جوردن لدى لندن ويذكر أنهم كانوا على خلق طيب ولم يصدر منهم شئ مخالف ابان اقامتهم ، فلم يعقدوا الاجتماعات ، ولم يقوموا بأى عمل ضد النظام فى مصر ، وأنهم أرفقوا الشهادات الطبية التى تثبت عدم قدرتهم على تحمل الرطوبة ، وقد تعهدوا بالبعد عن السياسة وعدم إثارة الرأى العام ، ثم يوصى الحكومة البريطانية بالعمل على مساعدتهم لدى الحكومة المصرية (٨٠) .

وكان على رأس الحكومة المصرية مصطفى رياض ، وله الخلفيات مع المنفيين ، ودلت مواقفه عقب انكسار الثورة مباشرة على رغبته الجامحة فى التشفى والانتقام ، وحاول بلنت استثمار عدم الوفاق بين رئيس النظار وبيرنج الذى وضع فى الفترة الأخيرة من حكم النظارة لصالح عرابى ورفاقه ، وفى لقاء جمعه بصديقه محمد المويلحى طرحت المسألة ، ونصح الأخير بأنه على عرابى الاستجابة لاتجاه المعتمد البريطانى ، وفى مقابلة بلنت للأخير فى ١٢ يناير ١٨٩٠ جرى الحديث حول الاتجاهين المتضادين فى مصر ، الاتجاه الأوربى المتحرر والاتجاه التقليدى الجامد ، وهنا انتهز بلنت الفرصة وأشار الى عرابى باعجاب وبأنه وسط بين الاتجاهين ، ثم ذكر أنه علم أن محمد عبده عمق عنه

وسمح له بالعودة من منفاه وعين قاضيا فى بنها ، فرد عليه بيرنج بأن جميع المنفيين تقريبا قد استدعوا ، فرجا بلنت تعميم ذلك بحيث يشمل المنفيين فى سيلان ، فاعترض المعتمد البريطانى وصرح بأن عرابى قام بثورة فاشلة ويجب عليه تحمل العقوبة ، فأجابه محدثه بأنها كانت ثورة ناجحة لولا الجيش البريطانى الذى بلغ قوامه ٢٠ ألف رجل ، ولديه من الامكانيات ما يعطيه التفوق ^(٨١) . معنى هذا أن بيرنج لا يميل لصدور العفو عن قادة الثورة العرابية .

وبعث المعتمد البريطانى الى لندن — ردا على بحث تظلم المنفيين — يبلغها أن الخديو ليس لديه أى استعداد لعودتهم ^(٨٢) . وقدمت مذكرة الى رئيس الوزراء البريطانى فى ٢٦ أغسطس ١٨٩٠ حملت توصيات المنفيين ، فطلب الاتصال مرة أخرى بالحكومة المصرية ، فعادت لتؤكد رفضها ، كما صورت الانطباع السيئ لدى رأى العام ضدهم ، وأنها ستجرى البحث فى موضوع نقلهم الى قبرص ^(٨٣) . وحينما أثير سؤال فى مجلس العموم البريطانى حول سوء الحالة الصحية للمنفيين وعدم تحملهم رطوبة سيلان ^(٨٤) ، أخطرت الخارجية البريطانية وزارة المستعمرات بأنه سيكلف طبيب حكومى لفحصهم وتقرير حالتهم الصحية ، وإذا وجد أن الجزيرة لا تناسبهم ومناخها يعرضهم للخطر ، ففى هذه الحالة ستنقلهم الى جهة أخرى ، وأنه لا محل للتفكير فى عودتهم الى مصر ^(٨٥) . اذن فالسياسة العليا تتفق فى عدم السماح لهم بالرجوع لوطنهم .

وكتب مفتش الصحة بكونومبو — وهو الطبيب الذى وكلت له تلك المهمة الرسمية — تقريره فى ٤ أكتوبر ١٨٩٠ بعد أن شكل لجنة بهذا الخصوص ، وجاء فيه أنه ليس هناك تأثير ضار لمناخ سيلان على صحتهم ، ورفع الحاكم التقرير الى ناتسفورد Knutsford وزير المستعمرات موضحا أنه من يرغب منهم فى الانتقال الى مكان آخر فعليه اختياره فى سيلان نفسها ، ومن ثم أعلم رئيس الوزراء البريطانى

بنتيجة الكشف الطبى ، وتطلب الخارجية البريطانية من وزارة المستعمرات
ابلاغ المنفيين بأنهم سيبقون فى جنة آدم (٨٦) •

ورغم التوصل لهذا رأى الا أن وزير المستعمرات اقترح امكانية
نقلهم الى مدينة بنجالور Bangalore (٨٧) — تقع بالقرب من مدارس
فى الهند — وجاء ذلك بناء على ما عرضه حاكمها على وزارة المستعمرات ،
فقد سجل انطباعاته عن عرابى فذكر أنه يعرفه جيدا ، فعند وصوله
انى سيلان كان رجلا قوى البنية ، ممتلىء الجسم ، متمتع بالصحة ،
له الشخصية القوية على مرافقيه ، وصاحب ابتسامة لمن يبدى اهتماما
به ، ولكن حين رآه بعد خمس سنوات من منفاه ، صدم بالتغيرات
التي حدثت له ، حيث ساءت حالته ، وبدا كما لو نقص طوله قدما ،
وانتابه اليأس ، وزهد الحياة ، وظهر عليه كبر السن ، وهاجمه المرض ،
وأصيب قلبه بداء الحنين للعودة للوطن • وبعد وصف حالته يرشح
للمنفيين جفنة ثم يشير الى بنجالور ويعتبرها جنة الهند ويبين أنها
تتمتع بالجفاف ، وتضم الأندية ووسائل التسلية والحوانيت ، وتتوفر
بها جميع الحاجيات الأساسية والثانوية ، وبالتالي فهى تناسبهم ،
وأخيرا يبدى استعداداه لعمل الترتيبات اللازمة لهم من منازل مفروشة
الى غيره • ووضع الاقتراح أمام الخارجية البريطانية ، فأرت بحثه (٨٨) •
ولكن على ما يبدو أنه لم يلق تأييدا لتعارضه مع الخطة الأساسية التي
رسمت بهدف فصل المنفيين عن الهند • وهذا الموقف بعض الشيء ،
وأحببت آمال المنفيين فى عودتهم الى مصر أو حتى انتقالهم الى مكان
أكثر ملاءمة لصحتهم •

وفى ١٩ مارس ١٨٩١ توفى عبد العال حلمى نتيجة اصابته
بحساسية فى صدره ، ودفن فى كولومبو ، ولفت ذلك رأى العام
البريطانى ، فتقدم شوان Schwan عضو مجلس العموم بسؤال لوزير
المستعمرات عما اذا كان أثار انتباهه أن المتوفى قد شكا من معاناته
لأزمة صدرية ، وأنه كان يتألم كثيرا ويتوسل لنقله من المكان الذى يعيش

فيه ، وأن عرابى يقاسى من الروماتيزم الذى لا يتفق هو الآخر مع الرطوبة ، ورغم ذلك فالتقرير الطبى يقول عكس هذا ويسجل أنه لا ضرر على المنفيين ، ثم يسأله عما اذا كان قرأ المقال الذى نشرته الصحيفة السيلانية Ceylon Mail الصادرة فى ٢١ مارس عن المنفيين وخاصة طلبة عصمت الذى لم يفارقه مرض الربو ، وأخيرا يسأل عما اذا كانت الحكومة البريطانية تعتبر أن الحاجة الى نقلهم لمكان جاف قد أصبحت ملحة ^(٨٩) . وطلبت لندن التقرير الطبى الخاص بوفاء عبد العال حلمى ، وجاء فيه أنها تمت بسبب نزيف فى المخ حدث نتيجة لحساسية الصدر التى صاحبها انتفاخ فى الرئتين واغماء ، وأن الطبيب المعالج تردد عليه منذ ١١ مارس وأعطاه العلاج لكنه لم يتمكن من وقف الحالة ^(٩٠) .

وخشى طلبة عصمت على نفسه ، والتجأ للحاكم وقدم له التماسه وتظلم وترجى نقله الى مكان جاف ^(٩١) . وفى نفس الوقت استلتم الحاكم خطابا من لندن مرفقا به استفسار مجلس العموم عن صحة المنفيين ، وطلبت منه الرد . وعلى الفور عين لجنة طبية رسمية لفحصهم ، وعما اذا كان طرأ أى تغيير على صحتهم منذ آخر فحص لهم خاصة طلبة عصمت وعرابى لتأكيد أو نفي مرضهما ، وجاء التقرير بأن أربعة منهم لا تغيير فى صحتهم ، وأن طلبة عصمت ليست صحته بحالة مرضية ، ونصحت اللجنة بنقله من كولومبو الى كاندى أو جفنة حيث مناخهما أفضل ويناسب المصابين بمثل مرضه ، أما عن عرابى فُسجل التقرير أن حدة الروماتيزم قد خفت ^(٩٢) . ووفقا لذلك رأت الخارجية البريطانية أنه لا مانع لديها من نقل طلبة عصمت الى قبرص أو سانت هيلانة St. Helena أو الكاب . وتم الاتصال بالقاهرة لتبليغها ، وعارض الخديو بشدة المكان الأول ووافق على الجهتين الأخيرتين ^(٩٣) . وأبدت الخارجية البريطانية استعدادها لتحمل مسؤولية الاشراف عليه ومراقبة تحركاته ، وطلبت سؤاله حتى يمكن اتخاذ اللازم ^(٩٤) . وبعرض

الأمر على صاحب الشأن رفض وفضل الاستمرار فى سيلان عن الانتقال لهاتين الجهتين ^(٩٥) . وعندما جدد العرض عليه بناء على اعادة طلبه المعهود ، ركز على قبرص لتشابهها فى المناخ مع مصر وأنها المكان المناسب لصحته ^(٩٦) . وبالطبع رفض الطالب لتعارضه مع رغبة الخديو .

وفى ذلك الوقت كان بلنت يسعى لى بيرنج ، فعقب وفاة عبد العال حلمى فاتحه فى المسألة ، لكنه عارض عودة المنفيين بشدة ، وصرح أنه فى حالة ما يتقرر احتلال مصر بصفة مستديمة فانه لن يعارض فى عودتهم ، وحاول بلنت أن يستحضر له مثالا ، فذكر محمد عبده وكيف تغير موقفه ^(٩٧) ، بمعنى أنه أصبح بعيدا عن الثورية وسلسا مع السياسة البريطانية ، ولكنه لم يصل معه الى نتيجة . وفى يوليو ١٨٩١ أثر الموضوع فى البرلمان عن طريق لايوشير ، وكانت اجابة الخارجية البريطانية متمثلة فى فرجسون Ferguson حيث ذكر أن الحكومة البريطانية لم تتخذ موقفا نهائيا تجاه المنفيين وأنها جارية البحث فى هذا الشأن ^(٩٨) . فأعطى هذا نوعا من الأمل .

وخرجت الصحيفة البريطانية Pall Mall Gazette فى ٢٧ يناير ١٨٩٢ بمقال لمراسلها فى كولومبو سجل فيه رؤيته لعرابى بعد انقطاع دام سبع سنوات ، فذكر أن ملامحه تغيرت واتسع عقله وأصبح يتكلم الانجليزية بطلاقه ، وبعد أن كان رجلا طويلا ذا جسم عسكرى قوى ، غدا رخو العضلات ، وقد أنهك من اصابته بالمalaria ، وتعثرت قدماه من مرض الروماتيزم ، واشتعل الرأس والذقن شيئا ، بالرغم من أن عمره لا يتجاوز ٥١ سنة ، لكنه يبدو فى السبعين اذ انحنى ظهره ، ويبين الكاتب أن عرابى شكاه له سوء الحال والمنتقلب والجو القاتل الذى يعيش فيه هو وزملائه حيث زحفت عليهم الأمراض بأنواعها ، وأن نفيهم فى تلك الجزيرة يعنى الموت البطيء ، ثم عبر عن رغبتهم فى العودة لمصر وكيف توصل الأبواب أمامهم ^(٩٩) . وكان هذا

المقال موضع سؤال من كوى Coy عضو البرلمان اذ استعلم من وزير المستعمرات عما اذا كان قرأه ، وهل يمكن للحكومة البريطانية العمل على عودة المنفيين لأرضهم أو نقلهم الى قبرص (١٠٠) * وعليه يتضح أن القضية أصبحت متداولة ولكنها لم تحسم *

وطراً عام ١٨٩٢ حادثان مهمان ، فقد تولى جلادستون الوزارة للمرة الرابعة ، ومن ثم عاد حزب الأحرار الى الحكم ، كما اعتلى عباس حلمى الثانى أريكة الخديوية وبدا وكأن الأمر ربما يكون فى صالح عرابى ورفاقه ، وتحرك بلنت ، وفى لقاءه مع السكرتير الخاص لروزبرى — الأخير شغل منصب وزير الخارجية فى عهد وزارة سولسبرى الثانية — ناقشه فى مسألة فك سراح عرابى ، فوجد منه فتورا مما لم يشجعه على الاستمرار ، وأعقب ذلك لقاءه بدفون بالسفارة البريطانية فى باريس ، فطلب منه مساعدته لتحقيق ما يسعى اليه ، فوجد منه قبولاً حيث تكلم عن عرابى بطريقة لطيفة ، ووعد بأن يقول كلمة طيبة فى حقه عندما تتاح الفرصة (١٠١) * وفى ٧ نوفمبر من نفس العام بعث بلنت برسالة الى روزبرى استعرض فيها الظروف التى يخضع لها المنفيون ، وبعثت الخارجية البريطانية بصورة منها الى كرومر فى مصر (١٠٢) *

ودرس المعتمد البريطانى الموقف جيداً ، وكتب الى لندن ليسجل الأبعاد ، فذكر أن الخديو الجديد على استعداد لسماع شكوى المنفيين فى سيلان ، وأنه مقتنع أن وجهة نظر عرابى وموقفه يختلفان تماماً عما مضى ، وأنه فى لقاء معه عندما نقل له تهانى الملكة ، تطرق فى سياق الحديث عن التماسات عرابى ورفاقه ، ولكنه لم يعرض رأيه ، ولم يطلب من الخديو الرأى ، وانما تبين أنه لا يعارض فكرة بلنت — وهى بالطبع لصالحهم — ويواصل كرومر قوله انه بالنسبة لصغر سن عباس فقد يعرض الأمر على نظاره ، وأنه — أى كرومر — لن يتحدث معهم فى ذلك اذ يعارضون بشدة مسألة العودة ، ويجدون من يؤيدهم

من أصحاب المراكز ذات الأصول التركية ، وبالتالي فلن يضبط عليهم ،
ويبين أن العفو عن عرابى - اذا حدث - سيكون خطوة جريئة من
الحكومة البريطانية ، ولها وقعها الحسن فى تهدئة رأى العام مما يسهل
بقاء قوات الاحتلال فى مصر ، وأنه فى حالة ثبوت هذه الرؤية ، لابد
من ضغط سياسى لاقتضاء اتجاه الرافضين ، ثم ينتقل الى تحليل شخصية
عرابى ، فيسجل أنه لم يقابله شخصيا ، لكنه واثق من أن حركته
كانت ضد الأتراك والأوربيين ، واتخذت الطابع العسكرى والوطنى ،
وأن ما لاقاه الفلاحون من الظلم على يد الأتراك الذين يعتبرون
المصريين أقل مستوى منهم ، جعل عرابى يتزعم حركة الانقاذ ومعه
غالبية المصريين ، فاشتريت معه الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ، وأن
الذين حوكموا يعدون قلة ، وقد وقع عليهم دور القيام بالحركة ،
ويصفها بأنها كانت حركة اجتماعية ، وبالتالي فهو يرى عودة القائد
سيكون لها تأثير حسن فى نفوس الشعب * وفى الوقت نفسه يسجل
أن فيها خطرا سياسيا كبيرا ، ثم ينتهى الى أن ضعف الخديو ونقص
تعليمه يجعله فى حاجة الى طلب معاونة الانجليز المستمرة ليظهر قويا ،
ويركز على أنه فى هذه الحالة لن تكون هناك خطورة من عودة عرابى (١٠٣) *
وبذلك تتضح نظرية السياسة الكرومية ، ومن خلالها نلمس أن التعتنق
والجمود اللذان أبداهما المعتمد البريطانى فيما سبق تواريخا جانبيا نظرا
لتغيير الظروف *

والتقى بلنت بالخديو فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ وسأله العفو عن المنفيين
مصرحا أنه استلم خطابات من عرابى تفيض بعبارات الولاء له ، وأنه
- أى بلنت - على يقين من امكان الخديو الاعتماد عليه لاخلاصه
له ، كما أشار الى أن محمود سامى سيكون هو الآخر مفيدا له للغاية ،
وأبدى أمنيته فى السماح للمنفيين بالعودة ، وتقبل عباس الحديث
بارتياح مما شجع محدثه على الاستمرار ، فأظهر أسفه على أن الخديو
توفيق كان فى مشاحنة مع عرابى مما تسبب عنه دخول الانجليز مصر ،

وأنه لا يعفى من هذه المسئولية ، وأظهر أن سياسة عرابى تطابق تماما سياسته وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بالتخلص من الحكم الأجنبى ، وهنا أجابه الخديو بأنه لا يمكنه اعطاءه ردا قاطعا حول هذا الموضوع حتى يتم التشاور مع الآخرين ، ولكنه سينزع مسألتهم محل اعتبار ، وحينما تتاح الفرصة المناسبة ، فانه يأمل أن يكون قادرا على تحقيق طلبه ، فأجابه بلنت بأنه لا يريد الضغط عليه فى تلك اللحظة نظرا لعلاقته المتوترة مع كرومر ، وأسدى اليه النصيحة بأن يكون مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية من بين مستشاريه ^(١٠٤) . ومع علم بلنت بموقف مصطفى رياض المضاد ، لكنه التقى به فى ١٧ مارس ١٨٩٣ وكان رئيسا للنظار وبسط الأمر معه ، فسمع منه الكثير مما قام به عرابى وكيف تسبب فى الاحتلال البريطانى ، وانتهى الى أن الفرصة غير مواتية لاتمام هذه الخطوة ^(١٠٥) .

وحاول عرابى استدراج عطف رأى العام البريطانى عن طريق عرض المسألة على الصحافة ، ففى عام ١٨٩٣ وبينما كان محرر الصحيفة البريطانية The Daily Graphic فى زيارة للجزيرة ، بعث اليه عرابى ببرقية عاجلة يطلب منه اجراء حديث معه بهدف أن يكتب مقالا — عقب عودته للندن — يقترح فيه اطلاق سراحه من الأسر . والتقى الصحفى به فى نوارا اليا Nuware Eliya بالجبل ، وحضر المقابلة على فهمى وابن عرابى ، ودار الحديث عن مقال نشر فى الصحيفة البريطانية The Daily Telegraph تحت عنوان « سجين الحرب » استعجل فيه كاتبه العفو عن عرابى ، وراح الأخير يسرد قصته حتى وصل الى معركة القل الكبير ووصفها بأنها المشهد الأخير الذى أسدلت عليه الستار ، ثم طلب من الصحفى أن يصف للشعب الانجليزى حاله ، وكيف أصبح هزما قبل الأوان ، وأن عشر سنوات المنفى ضاعت فيها صحته وأصبح لا يصلح لأى شىء ، وغير قادر على الخيانة أو الاخلال بكلمة الشرف ، وأن عيناه غطاهما السحاب الذى سيحجب عنهما رؤية الضوء الى

الأبد ، وعندما سأله الصحفي عن نظرتة للمستقبل ، أجاب أنه يريد الموت بين ناسه ، ويشاهد مصر قبل أن تأتى ساعته الأخيرة ، وفى حالة سماح الحكومة البريطانية بعودته فسيذهب كصديق لبريطانيا لا كعدو ، وأنه يوافق على وضعه تحت رقابة البوليس أو الحراسة العسكرية ، وتكتب عنه التقارير وترفع للمسؤولين ، وأكد تمسكه بوعده الذى أعطاه بألا يتدخل فى السياسة بطريقة أو بأخرى ، وينتهى الى أنه وضع أمله فيه ويطلب العفو والرحمة ويشيد بالانجليز (١٠٦) . ودلت هذه المحاولة على الخضوع والاستسلام ، لكنها كانت احدى الأبواب التى طرقت .

وعاود المنفيين الأمل فى تحقيق مطلبهم ، فيكتب طلبة عصمت الى وزير المستعمرات ليعيد شرح ظروفه ويبين أن الأجواء أصبحت صالحة لامكانية نوال الرغبات عن ذى قبل ، حيث يحكم مصر خديو جديد أصدر العفو عن ٣٣٨ شخصا من الذين رفض والده العفو عنهم ، وأن حزب الأحرار يحكم انجلترا وهو صاحب قوة وبأس (١٠٧) . وبعثت الخارجية البريطانية الى كرومر تنقل له المظلمة ، فأعد بدوره مذكرة بشأنها وسلمها الى تيجران ناظر الخارجية ، وسأله عما اذا كان عباس حلمى سيلبى طلب المتظلم بالسفر الى قبرص ، فعلم منه أن حول المذكرة عليه ، وأنه سيكون مثل والده حذرا من ذلك ، خشية من تمسك باقى المنفيين بالانتقال اليها ، ولأنها قريبة من مصر ، ومن ثم فعانى المتضرر اختيار مكان من المستعمرات يكون بعيدا عنها ، وينتقل ناظر الخارجية الى معاناة الحكومة من اطلاق سراح عبد الله النديم (١٠٨) . وعليه أخطرت الخارجية البريطانية وزارة المستعمرات برفض الخديو وابلاغ صاحب التظلم بذلك (١٠٩) .

وانفعل طلبة عصمت وكتب الى برودلى يشير الى ما سبق أن أقرته اللجنة الطبية عام ١٨٩١ عن سوء حالته الصحية ، وكيف دخلت قبرص فى مجال الاختيار كمكان ينتقل اليه ، وأنه فضلها ، فرفضها توفيق ، ثم عاد وعارضها ابنه رغم تسامحه مع حسن موسى العقاد

ومحمد عبده وعبد الله النديم : وينتهى الى أنه فى المنفى بناء على رغبة الحكومة البريطانية لا الحكومة المصرية ، ويطلب منه السعى لتحقيق طلبه (١١٠) .

وساعت حالة عرابى ورفاقه بوفاة محمود فهمى فى ١٧ يونيو ١٨٩٤ ، وكلف حاكم سيلان مفتش عام البوليس لمعرفة سبب الوفاة ، وإذا ما كان هناك سبب مباشر أو غير مباشر عمل على سرعتها ، وهل المناخ سيلان دخل فيها ؟ وجاء التقرير الطبى أنه أصيب بشلل فى جنبه الأيسر وثقل لسانه ، وجرت معالجته فتحسن ، لكن استمر ذراعه مشلولاً ، ثم توجه الى كاندى ومكث بها أربعة أيام ، عاد بعدها الى بيته فى كولومبو ، وزاره الطبيب ، وبعدها انتقل الى كاندى مرة أخرى حيث استضافه ابن عرابى ، ولم يمض الا وقت قصير حتى لقي ربه ، وأنه ليس للظروف المناخية دخل فى الوفاة وسببها السكتة القلبية ، كما قدم تقرير لطبيب آخر كان على صلة شخصية بالمتوفى ، يذكر فيه صفاته وكيف كان نشيطاً ويهوى المكتبة ويقوم بترجمة كتب التاريخ من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية (١١١) . وبذلك نقص من عدد المنفيين اثنان ، وأصبح كل واحد من الباقيين ينتظر دوره حاملاً فوق أكتافه مشقة التفكير فى الموت بعيداً عن الوطن . وهكذا نطقت صورة حياة عرابى ورفاقه فى جنة آدم بالعذاب الذى تجرعوه ظلماً وبهتاناً ، لا لذنوب اقترفوه سوى أنهم أرادوا الخير لمصر .

هوامش الفصل الثالث

(١) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ .

(2) F.O. 78/4267, Longden — Derby, Kandy, Jan. 30, 1883.
No. 41.

من بين الطلبات التي قدموها للحاكم ، الحاق اولادهم بالمدارس ، وتوفير العلاج الطبى ، ومن ثم فقد رتب اتصالهم بمدير التعليم العام للاتفاق على المدارس التي تناسبهم ، واعلمهم بأن هناك أربعة اطباء انجليز ، وعليهم اختيار احدهم ، وأن يكون ثمن الدواء على نفقتهم .

(3) Ibid, Downing Street, March 5, 1883.

(4) Ibid, Dufferin — Granville, Cairo, April 6, 1883, No. 102.

(٥) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ،

F.O. Op. Cit., Malet — Granville, Cairo, May 29, 1883.

(6) Ibid, Downing Street, May 22, 1883,

بلغت هذه المصاريف حوالى ٣١٥٠٠ روبية ، وطلبت لندن من الحاكم العام أن يقوم بمحاولة لتخفيض هذا المبلغ .

(٧) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ .

(8) F.O. 78, Op. Cit., Douglas — Derby, Colombo, Aug. 2, 1883.

(9) Ibid, Sept. 11, 1883, F.O — Baring, F.O, Oct. 24, 1883.

(10) F.O. 78/4268, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 2, 1884.

(11) Ibid, Gordon — Derby, Ceylon, Jan. 28, 1885, No. 39.

(12) Ibid, Gregory — Derby, Hyde Park, May 30, 1884.

(13) Ibid, Labouchere — Colonial Office, Twickenham May 28, 1884.

(14) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, July 24, 1884.

(15) Ibid, Downing Street, Jan. 24, 1884 .

(١٦) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، محضر ٢٦ فبراير ١٨٨٥ ،

F.O. 78/4267, No. 240.

(17) Broadley : Op. Cit., vol. II, Aug. 31, 1883, F.O. 78/4268, Cairo — F.O, Cairo, Aug. 16, 1884, No. 806.

اختصت هذه الزوجة باضطهاد الحكومة لها وذلك بناء على رغبة توفيق في الانتقام منها ومن زوجها نظرا لتلك الصلة التي كانت تربطها بالتصير قبيل الثورة .

(18) F.O. 78, op. cit., Aly Fahy — Derby, Colombo, March 24, 1884, Aly Fahmy — Salisbury, Colombo, Aug. 31, 1885, Yacoub Samy — Derby, Colombo, Aug. 16, 1885, Yacoub Samy — Salisbury, Aug. 31, 1885, Mahmoud Fahmy, Mahmoud Samy, Abdel Al Helmy — Horble, Colombo, Aug. 10, 1885, Yacoub Samy, Aly Fahmy — Churchill, Aug. 26, 1885.

كان لطلبة عصيت وضعه الخاص لرضه وما يتطلبه من مصاريف أعجزته ، وقد كتب رسالة مطولة الى وزير المستعمرات يشرح له فيها ظروفه الصعبة ونفقاته المرتفعة .

F.O. 78, Op. Cit., Toulba Esmat — Secretary of State for the Colonies, Colombo, Aug. 10, 1885.

(19) Ibid, Gordon, Queen's House, Colombo, Sept. 11, 1885.

الالتباسات المرفقة مقدمة من طلبة عصيت ومحمود فهمى وعبد العال حلى ومحمود سامى وعلى فهمى ويعقوب سامى .

(20) Ibid, F.O, Sept. 18, 1885.

(21) Ibid, F.O — Colonial Office, Nov. 1885.

(22) Ibid, Mahmoud Samy, Abdel Al Helmy, Toulba Esmat — Rosbery, Colombo, March 15, 1886.

(23) Ibid, Baring — F.O, Cairo, May 15, 1886, No. 214.

تولى بيرنج منصب قنصل إنجلترا العام في سبتمبر ١٨٨٣ ، وأطلق على شاغل هذا المنصب في ظل الاحتلال المعتمد البريطاني .

(٢٤) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ ، محضر ١٣ مايو ١٨٨٦ .

- (25) F.O. 78, op. cit., Baring — F. O, Cairo, Sept. 7, 1886.
- (26) Broadley : op. cit., Vol. III, Nov. 22, 1886.
- (27) F.O. 78, Op. Cit., Gordon — Stanhope, Colombo, Dec. II, 1886, No. 460.
- (28) Ibid, Downing Street, Jan 27, 1887.
- (29) Ibid, Cairo — F.O, Cairo Feb. 10, 1887, No. 102.
- (30) Ibid, Note to The Marquis of Salisbury, March 17, 1887.
- (31) Ibid, Baring — F.O, Cairo, May 9, 1887, No. 294.
- (32) F.O. 78/4589, Cairo — F.O, Cairo, April, 11, 1891, No. 86, knutsford — Havelock, Aug. 17, 1891, No. 245, Havelock — knutsford, Oct. 14, 1891, No. 245.
- نالت زوجتنا محمود نهى ويعقوب سامى نفس الحق ، محانظ الثورة
العربية ، محفظة ٤٢ ، ٧ يوليو ١٨٩٤ ، ٢ سبتمبر ١٨٩٩ .
- (33) F.O. 78/4966, Arabi — Ridgeway, Kandy, May 31 1898, Ridgway — London, Colombo, June 26, 1898, No. 205, Downing Street — Under Secretary of State (F.O.), July 25, 1898, No. 205.
- (34) F.O. 78/4268, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883.
- (35) Broadley : op. cit., Vol. III.
- خطاب من عرابى الى برولى فى ١٠ يونيو ١٨٨٣ ، وخطاب آخر فى
٨. ديسمبر ١٨٨٣ .
- (36) F.O. 78/4267, Dufferin — Granville, Cairo, April 6, 1883, No. 102.
- (37) Ibid, Longden — Derby, Colombo, June 25, 1883, No: 304.
- (38) F.O. 78/4268, Toulba Esmat — Secretary of State for the Colonies, Colombo, Aug. 10, 1885.
- (39) F.O. 78/4267, Malet — Granville, Cairo, Sept. 5, 1883, No. 394.

- (40) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Sept. 18, 1883.
- (41) Ibid, F.O — Baring, F.O, Oct. 24, 1883, No. 271, Baring — Granville, Cairo, Nov. 12, 1883, N.o 507.
- (42) F.O. 78/4268, Gregorey — Derby, Hyde Park, May 30, 1884, Labouchere — Colonial Office, Twickenham, May 28, 1884, F.O — Colonial Office, F.O, July 24, 1884.
- (43) Ibid, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883, Campbell's Report, Dec. 3, 1883.
- (44) Ibid, Downing Street, Nov. 26, 1884.
- (45) Ibid, F.O — Gregory, F.O, Dec. 1st, 1884.
- (46) Ibid, Downing Street, Dec. 24, 1884, Cairo — F.O, Cairo, Feb. 14, 1885, No. 152.
- (47) Ibid, Gordon — Derby, Ceylon, Jan. 28, 1885, No. 39.
لم يعتمد المنفيون على الطبيب المعالج الذى خصص لهم في البداية ،
وانما لجأوا لغيره على نفقتهم .
- (48) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 19, 1884.
- (49) Broadley : Op. cit., vol. I, How we Defended Arabi And His Friends, p. IX, Vol. III.
- (50) Ibid, vol. III.
خطاب من عرابى الى برودلى في ٨ ديسمبر ١٨٨٣ .
(٥١) خطاب من بلنت الى عرابى في ٢٦ أبريل ١٨٨٤ ، الأهرام ،
عدد ١٣٩٧٤ في ١٥ فبراير ١٩٢٣ .
(٥٢) عبد الله النديم ، المصدر المذكور ، ص ٧٤ . تزوج عرابى
روجتين في المنفى .
(٥٣) نفس المصدر ، ص ٧٦ .
- (54) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Jacoub Samy — Broadley, Colombo, June 6, 1887.
- (55) Ibid, The Times of Ceylon, July 11, 1887.

- (56) Ibid.
- (57) Ibid.
- (58) Ibid.
- (59) Ibid, Toulba Esmat — Broadley, Kandy, March 14, 1894.
- (٦٠) عبد الله النديم ، المصدر المذكور ، صص ٧٤ — ٧٦ .
- (61) Broadley : Op. cit., Vol. I, How we Defended Arabi. And His Friends, p. VII.
- (62) F.O. 78/4267, Napier — Blunt, Cairo, April 16, 1883.
- (٦٣) خطاب بلنت الى عرابى فى ٢٦ أبريل ١٨٨٤ ، الاهرام ، عدد ١٣٩٧٤ فى ١٥ فبراير ١٩٢٣ .
- (64) Broadley . op. cit., vol. II,
- خطاب من طلبة عصمت الى برودلى فى ١٩ فبراير ١٨٨٣ .
- (65) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, April, 28, 1883.
- (66) Ibid, Longden — London, Colombo, May 10, 1883, Derby — Longden, May 14, 1883.
- (67) Ibid, Longden — Secretary of State, Colombo, May 22, 1883, Toulba Esmat — Secretary of State (for the Colonies), Colombo, Aug. 10, 1885.
- (68) Ibid, Colonial Office, June 19, 1883.
- (69) Ibid, Douglas — Derby, Colombo, Aug. 20, 1883, F.O. 78/4268, Toulba Esmat — Secretary of State (for the Colonies), Colombo, Aug. 10, 1885.
- (70) F.O. 78/4268, Op. Cit.
- (71) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Toulba Esmat — Broadley Colombo, Jan. 22, 1886.
- (72) Ibid.
- خطاب من عرابى الى برودلى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٥ .

(73) Ibid.

(74) Ibid.

خطابات في ١٢ مارس ، ١٠ مايو ، ٦ يونيو ١٨٨٧ .

(٧٥) أحمد مرابي ، ص ٦٦١ .

(76) F.O. 78, Op. Cit., Gordon — Hollaud, Nuwara Eliya, Sept. 19, 1887, No. 394.

(77) Ibid, F.O — Cairo, F.O, July 27, 1888, Cairo — F.O, Cairo, Aug. 12, 1888, No. 279.

(78) Ibid, Downing Street, Dec. 7, 1888, F.O — Baring, F.O, Dec. 7, 1888, No. 235.

(79) Blunt : My Diaries, Part I, P. 30.

(80) F.O. 78/4589, Downing Street, June 26, 1890, Gordon — Kuntsford, Colombo, May 22, 1890.

(81) Blunt : My Diaries, part I, p. 30.

(82) F.O. 78, Op. Cit., Baring — F.O, Cairo, June 28, 1890.

(83) Ibid, Aug. 26, 1890.

(٨٤) من المعروف انه كان لبلنت وبرودلي دورهما في العمل على توصيل القضية للبرلمان البريطاني خاصة عقب تشكيله الجديد عام ١٨٨٦ ،
Broadley : Op Cit., Vol. III.

خطاب من يعقوب سامي الى برودلي في ٨ ابريل ١٨٨٦ .

(85) F.O. 78, Op. Cit., Colonial Office, Aug. 16, 1890.

(86) Ibid, Downing Street, Nov. 7, 1890, Havelock-knutsford, Colombo, Dec. 10, 1890, No. 399, F.O. Colonial Office, F.O, Nov. 15, 1890.

(87) Ibid, Downing Street, Jan. 2, 1891.

(88) Ibid, Ledivant — Colonial Office, Bangalore, Dec. 3, 1890, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 8, 1891.

(89) Ibid, Eastern Department, April 16, 1891.

يذكر عرابي أن جنازة عبد العال حلمي قد حُلقت فوقها أسراب من الطير مما أخذ العجب بالناس لهذه الظاهرة الغريبة ، واعتبر ذلك من كراماته . أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٦١ .

(90) Ibid, Dawning Street, April 25, 1891, Havelock — knutsford, March 27, 1891.

(91) Ibid, Downing Street, June 8, 1891.

(92) Ibid, Havelock — knutsford, Kandy, June 23, 1891, No. 246, Principal Civil Medical Office, Colombo, June 17, 1891.

(93) Ibid, F.O, July 23, 1891, F.O — Colonial Office, F.O, Aug-4, 1891.

(94) Ibid, F.O — Colonial Office, Aug. 24, 1891.

(95) Ibid, The Governor of Ceylon — knutsford, Aug. 12, 28, 1891.

(96) Ibid, Police Office, Colombo, Sept. 24, 1891.

(97) Blunt : My Diaries, Part I, p. 45.

(98) Ibid, p. 54.

(99) F.O. 78, Op. Cit., Pall Mall Gazette, Jan. 27, 1892, An Interesting Chat with Arabi Pasha «Our Days are Drawing to a close».

(100) Ibid, Parliamentary Question.

(101) Blunt : My Diaries, Part I, Sept. 3, Oct. 19, 1892, pp. 74, 80.

من الملاحظ أن الاهتمام منصب على عرابي دون رفاته حيث فرضت الزعامة نفسها عليه في المنفى ، ولا يعني ذلك أنه المقصود وحده ، وإنما استخدم اسمه ليكون مرفقا به باقي أسماء المنفيين تلقائيا .

(102) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — F.O, Cairo, Dec. 2, 1892.

في ٢٤ مايو ١٨٩٢ لقب بيرنج بلقب لورد كرومر .

- (103) Ibid.
- (104) Blunt : My Diaries, Part I, pp. 92, 93.
- (105) Ibid, pp. 94, 95.
- (106) Broadley : Op. Cit., Vol. III, The Daily Graphic, May 27, 1901.

من الملاحظ أن عرابيا لم يبد ندما على ما قام به .

- (107) F.O. 78, Op. Cit., Toulba Esmat — Colonial Secretary, Colombo, July 14, 1893.
- (108) Ibid, Cromer — F.O, Ramleh, Sept. 4, 1893.
- (109) Ibid, F.O — Colonial Office, Sept. 20, 1893.
- (110) Broadley : Op. cit., Vol. III, Toulba Esmat — Broadley, March 14, 1894.
- (111) F.O. 78, Op. Cit., Havelock, Kandy, July 14, 1894, No. 247, Colonial Surgeons Office, Report by Dr. Rockwood, Report by Dr. Kynsey.

وكان أبرز ما كتبه مؤلف « البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الأوائل والواخر » .

الفصل الرابع

الخلاصة

كان من الصعب استمرار الأوضاع على ما هي عليه ، فحالة المنفيين تزداد سوءا ، والمساعى تمضى على دربها من أجل الاستحواذ على أية نقطة يمكن افادتهم بها ، وبالفعل فقد تمكنت من أن تتحت فى الصخر ، ولاح أن طريق النهاية قد قرب ، وانعكس ذلك على بعضهم . بينما ألقى العبء على كاهل البعض الآخر ، الذى ازدادت عليه المعاناة حتى شاعت الارادة بخلاصه .

مع تولى مصطفى فهمى رئاسة مجلس النظار فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ . وابتعاد مصطفى رياض عن التحكم بدت بوادر طفيفة توحى بأنه قد قرب فك المنفيين من أسرهم ، ففى لقاء جمع بلنت ومحمد عبده فى ١٤ مارس ١٨٩٦ ، أفاد الأخير عن التوقعات المنتظرة بشأن السماح لعرابى بالانتقال الى قبرص أولا ثم العودة الى مصر . وأن رئيس النظار أخبره بذلك ، وأن كرومر يرحب بالخطوة فى حالة موافقة الخديو ، وعليه سارع بلنت وقابله وفتح معه الموضوع ، فعاد عباس حلمى ليسأله عن عرابى ، فلقى اجابة تشيد به ، حيث وصفه بلنت بأنه وطنى شريف ، وصرح بتحملة مسئولية ولائه ، فوعده الخديو خيرا وبمناقشة الأمر مع رئيس نظاره (١) .

وتابع المنفيون أسلوبهم المعهود ، وفى مايو ١٨٩٧ أرسل طنبة عصمت ويعقوب سامى ومحمود سامى التماساتهم التى تعددت جهاتها . الى الملكة فيكتوريا والى رئيس وزرائها والى كرومر . يستعرضون فيها قصة نفيهم وما يقاسونه ، وتقدم العمر بهم ، وكيف أنهم يصلون ويدعون من أجل الرجوع الى وطنهم أو حتى الانتقال الى قبرص . وأنهم لم يعد لهم حول ولا قوة ، اذ زهقت أرواحهم . واندثر ما يخشى أن يفعلوه ، وليس فى وجودهم بمكان قريب من مصر أى خطر عليها . وأن تجربة بقائهم فى سيلان خمس عشرة سنة دليل على استكانتهم

وعدم تدخلهم فى السياسة • ومن اللافت للنظر أنهم يبعثون بخطاب الى ولسلى Wolseley القائد العام البريطانى يناشدونه ويرجونهم الوساطة فى قضيتهم ، وبذلك تتبين درجة الخضوع التى فرضت نفسها عليهم ، كما أيقنوا ما للمعتمد البريطانى من نفوذ ، وامكانية تأييده لهم ، فقدموا له فروض الطاعة والولاء ، ويبلغون برودلى بهذه الالتماسات ويطلبون مساعدته (٢) • وفى نفس الوقت تكتب زوجاتهم وبناتهم مظالمات للملكة البريطانية ، وتحمل شكواهن نفس معنى ما احتواه التماس الأزواج (٣) • ويبعثن بعريضتهن الى الخديو متضرعات اليه ، ويرسلن الى رئيس النظار يستعطفنه لتحقيق طلبهن (٤) •

ويرفق كرومر مع كتابه الى سولسبرى فى ١٠ يونيو ١٨٩٧ صورة الالتماس الذى وصله من المنفيين الثلاثة ، ويصرح له بأنه لا شك فى أن الغرض الأساسى من الالتماس هو طلب العودة لمصر ، وينقل له تحرياته ، وتدل على الخط غير الثابت ، فيذكر أن النظار لديهم حذر شديد فى تلك المسألة خاصة مع ظروف الاضطرابات التى تمر بها مصر ، ويبين أنه لا يمكن الحكم على الوضع السياسى اذا عاد المنفيون ، وبالتالي ليس من الحكمة المجازفة بهذه العودة ، ومن ثم فانه يرى بقاءهم فى مكانهم ، ويشير الى أنه يجب وضع المتغيرات الكبيرة التى حدثت فى مصر منذ عام ١٨٨٣ فى الاعتبار ، وأن نفى عرابى ورفاقه كان بسبب تزعمهم لثورة ضد توفيق ، وأن الخديو الجديد وضع نفسه فى مرتبة الزعامة ، فبدأ بالحركة العربية ثم تحول للحركة المضادة لأوروبا (٥) • وعليه يتضح أن موقف المعتمد البريطانى الذى كان قد بدا بأنه تعاطف مع المنفيين ، انعطف الى سيرته الاولى • وتلقت وزارة المستعمرات كتابا من الخارجية البريطانية يفيد رفض الحكومة المصرية الالتماسات المنفيين الثلاثة وعائلاتهم (٦) •

ولم يغفل أعضاء البرلمان البريطانى عن توجيه الأسئلة بين الحين والآخر بشأن اطلاق سراح المنفيين بعد قضائهم لتلك الفترة الطويلة

فى النفى ، وسياسة الحكومة البريطانية — خاصة بعد الانتخابات — فى هذا الصدد ^(٧) . وساعت حالة طلبية عصمت الصحية وتدهورت . وبعثت سيلان الى لندن ، وبلغ كرومر باجراء اتصالاته ، فالتقى مع رئيسى النظر ، الذى عرض الحالة على الخديو ، فعارض وقال انه اذا عاد طلبية عصمت الى مصر ، فسيطالب باقى المنفيين المعاملة بالمثل . فبين له المعتمد البريطانى أن وضعه يختلف عن باقى رفاقه : وعند التصريح له بالعودة ، يخطر الباقون بأن ما تم حالة فردية استثنائية نظرا لارتباطها بمرضه الخطير ، ولا تطبق عليهم ، كما ذكر أن صاحب الشأن ليس له دور هام كزملائه ، وقد أتى عليه الدهر وامكانياته معدومة ^(٨) .

ونجح كرومر ، واتصلت الخارجية البريطانية بوزارة المستعمرات ، وأبلغتها نبأ الموافقة على التصريح لطلبة عصمت بالعودة الى مصر : وأن هذا التصريح خاص به ولا ينطبق على زملائه ، وليس من حقهم المطالبة به ^(٩) . وفى ٢٧ يناير ١٨٩٩ صدر الأمر العالى بالتريخىص له « بالعودة الى القطر المصرى والاقامة فيه » ^(١٠) . واستفسر المعتمد البريطانى من لندن عن تحديد ميعاد السفر ، فطلبته من حاكم سيلان . فأعلمها بأنه سيبحر على الباخرة كونيغن لويس Conigen Luise فى ١٧ فبراير ، ثم عدل الميعاد فأبحر على الباخرة بروسن Preussen فى ١١ فبراير ^(١١) . ولم تمض الا شهور قليلة وتوارى فى تراب مصر .

وتنفذا للتعليمات وجه حاكم سيلان فى ٣١ يناير ١٨٩٩ خطابا الى المنفيين الأربعة معلنا أن الخديو اعتبر حالة طلبية عصمت اضطرارية وأن الحكومة البريطانية وممثليها فى سيلان والقاهرة لا يعتبرون فى عودته حقا لهم أو ايذانا بالأمل فى رجوعهم الى مصر ، حيث لا ينطبق وضعه على وضعهم بأى حال من الأحوال . وجاء رد عرابى ليبين فيه أنه استلم الخطاب وفهم مضمونه ، ويشكر الحاكم والخديو على التصريح لزميله بالعودة ، ويشير الى التزامه بكلمة الشرف التى أعطاها منذ

ست عشرة سنة ، ويشيد بالحكومة السيلائية على حسن معاملتها ، ويفضى بالشكر لحكومة جلالتها ، ويرجو أن تكون قد تغيرت وجهة نظرها فيه ، وأخيرا يعبر عن أمنيته في قضاء المتبقى من عمره مع عائلته في مصر . واقتصر رد الباقيين على تقديم وافر الشكر على ما قامت به الحكومة البريطانية وحاكم سيلان نحو طلبه عصمت ، ورفع الحاكم صورة خطابه والردود عليه للندن (١٢) .

ولم يكف المنفيون على المطالبة بالعودة بعد انحذار حالتهم الصحية ، وارتفعت أصواتهم بالشكوى ، فيلتبس على فهمى العودة ، ويرفق التماسه تقرير الطبيب المعالج ، والذي يقرر أنه تحت العلاج منذ تسع سنوات لاصابته بالدوزنتاريا وعسر الهضم وتضخم الطحال والكبد والاكريما باليدين ، وأن غذاءه الوحيد هو اللبن ، وصرح الطبيب أن حالته الصحية في اضمحلال ، وامتداد اقامته في سيلان سيقضى على حياته ، وقد أشرك هذا الطبيب زميلا معه ، فاتفقا في التشخيص والرأى ، ومن ثم أرسل حاكم سيلان الى المكتب الصحى لوضع تقرير رسمى عن الحالة ، فسجل الطبيب أنه من المعلومات التي حصل عليها من كاندى - دون أن يقوم بالكشف عليه - علم أنه يتمتع بصحة عن زملائه (١٣) . وأخذ الحاكم بهذا التقرير .

وحدث نفس الشئ مع يعقوب سامى الذى التمس العودة ، وأرغق هو الآخر تقرير الطبيب المعالج ، واشتمل على أنه تحت العلاج منذ سنتين نتيجة لانهايار عصبى وضعف ، عام ، وأنه أصيب مؤخرا بشكل في نصفه الأعلى ، وحالته الصحية حرجة ، بالإضافة الى تقدم سنه ، وانتهى التقرير الى ضرورة عودته لبلده ، وصادق طبيب آخر عليه (١٤) . وبعد مضى خمسة أشهر عاد الطبيب المعالج وكتب تقريراً عن حالة المريض الخطيرة والميئوس منها ، ووجوب اطلاق سراحه ليرى أرض وطنه قبل وفاته . وبالرغم من ذلك فإن من وكلت لهم المهمة الرسمية بالكشف عليه ، لم يقوموا به وقرروا في التقرير الرسمى أنه بحالة

جيدة وأحسن المنفيين صحة ، ولم يضعوا اعتبارا لأى تقرير سابق .
وعقب تسعة عشر يوما من تقريرهم توفي يعقوب سامى فى ٣٠ أكتوبر
١٨٩٩ (١٥) . واعترف المسئولون البريطانيون أن سبب الوفاة يرجع الى
الاهمال فى الكشف الطبى عليه (١٦) . وهكذا سقط الواحد تلو الآخر .
ودفن ثلاثة فى أرض سيلان بعد أن أعياهم المرض وقضت عليهم
العربة .

وساعت صحة محمود سامى ، وكتب مفتش عام الصحة تقريراً .
وكان صادقا هذه المرة ، ذكر فيه أن المريض يعانى من جلوكوما
Glucoma فى عينيه أزمئت معه ، وكادت أن تفقد عينه اليمنى البصر ،
ولا تقوى عينه اليسرى على عد أصابع اليد ، وهذا المرض ليس له
علاج وسينتهى بالعمى لتمزق القرنية ، وأنه يعانى من اكتئاب نفسى
راسخ وشديد نتيجة مرضه ووحده بمرض أجنبية ، ولذلك أثره السىء
فى النهاية . وأرفق ردجوى التقرير بكتاب له الى لندن يعرض فيه
حالة المريض الصحية المتدهورة ، ويشير الى أنه « ربما تصرح له الحكومة
المصرية بعودته الى وطنه بالنسبة لظروفه » (١٧) .

وتنقل لندن اقتراح حاكم سيلان الى كرومر لاجراء اللازم (١٨) ،
فيلتقى بالخدّيو ويدور الحوار بينهما حول باقى المنفيين : ويخرج بعدها
ليكتب لرئيس الوزراء البريطانى « لم أتمكن من عمل شئ سوى موافقة
الخدّيو على عودة محمود سامى فى الحال » (١٩) . وتكتب الخارجية
البريطانية فى ١٢ يوليو ١٨٩٩ الى وزارة المستعمرات لتفيدها بالعفو
الخدّيو عن محمود سامى ، وأنه أصبح يمكنه العودة لمصر ، وتطلب
تبليغ حكومة سيلان (٢٠) . وفى اليوم نفسه يصدر الأمر العالى
بالترخيص له « بالعودة الى القطر المصرى والاقامة فيه » (٢١) . وعندما
نقل اليه حاكم سيلان النبأ ، ما كان منه الا أن بعث بخطاب شكر لكل
من الملكة فيكتوريا والخدّيو لصدور العفو عنه ورجوعه الى وطنه (٢٢) .

ولم يعد هناك فى جنة آدم سوى عرابى وعلى فهمى ، وكان كرومر قد أرجأ النظر فى التماساتهما لوقت لاحق ، وكما عبر « ربما تكون الفرصة متاحة فى العام القادم » (٢٣) . معنى هذا أنه اتبع سياسة المماطلة حيث تتفق مع رغبته ، فلم يجزم فى أمر العفو ، بل وضعه فى أيدي الخديوى ونظاره رغم يقينه بتلك الظروف التى مرت بالمنفيين وقضت عليهم ، حقيقة أنه قام ببعض المحاولات التى تشير الى عكس ما يبطن ليموه وينأى بنفسه عن اللوم ويحمل غيره مسئولية الرفض ، ونجح فى ذلك وخاصة أن الخديو كان موقفه معروفا ، فيتحدث اليه بشأن عودة عرابى مصرحا بأنه فقد قوته وصلابته ، وهو يعلم تماما أن مثل هذا الطلب سوف يتبرم منه ويأتى بالنتيجة المضادة ، وبالفعل تكدر عباس حلمى وشكاه لبلنت وتحدث بانفعال عنه ، وبين كيف يحزنه موقفه اذ سبق ورفض السماح للخديو السابق اسماعيل بالعودة الى مصر وكان يعانى من مرض السرطان وانحصر طلبه الوحيد فى أن يرى القاهرة قبل موته . وحاول بلنت تهدئة روع الخديوى بما يكون فى صالح عرابى ، ولكنه لم يتمكن ، فيذكر « واستغرقتنا المناقشة فى هذا الموضوع طويلا ، وحينما كنت فى طريقى الى المغادرة ، انتهت بوعده المتأرجح بالعفو عن عرابى » (٢٤) .

وبذلك ينكشف أنه بالرغم من أن المنفيين السبعة قد تفرقوا ولم يعد لهم كيان يعمل له حساب ، فسقط أربعة منهم صرعى المرض ، والخامس فى طريق النهاية ، ولم يبق الا اثنان فى المنفى أصابهما الوهن والمرض ، الا أنه طالما أن أحدهما عرابى تسقط تلك الاعتبارات فى نظر الخديوى على أساس أنه الرأس المدبرة والمفكرة ، وأن رفاقه ليست لهم قائمة من غيره ، حقيقة أنه حمل حقدًا على فهمى ، ولكن نغمته انصبت على عرابى . وانهارت نفسية المنفيين ، ولم يغفلا لحظة عن طلب العودة ، وتلقى برودلى خطابتهما فى هذا الشأن ، ويصف ليه على فهمى انحدار صحته وكبر سنه ومرض ابنته ونصيحة الطبيب بترك سيلان ، ويسجل له عرابى ضيقه ومعاناته لهذه السنوات العجاف،

من الملاحظ أنه أدخل زميله معه في الشكوى ، وكان برودلي يرد عليهما
مدهما بالعمل على تحقيق رغبتهما (٢٥) . وفي يناير ١٩٠١ انتشر
غزل عن العفو قبل أوانه مما سبب كدرا وضجرا للمنفيين ، وكان
عراي يأمل أن يكون عيد ميلاد الخديوى فرصة لاسترداد حريته ،
فكانه مر دون حدوث ما ينتظره ، فكتب الى صديق له في ٢٠ فبراير
بمعى حاله ويعزيه في وفاة الملكة البريطانية (٢٦) .

واستمر الوضع متجمدا حتى قام دوق كورنول ويورك ولى عهد
بريطانيا وزوجته بزيارة لجنة آدم ، فوجدها عراي فرصة لمقابلته وعرض
مغصية عليه ، وطلب الوساطة منه ، وتمت المقابلة في ١٣ ابريل ،
استغرقت بعض الوقت ، وأعطاه الدوق وعدا ملكيا بأنه سيطلق
سراحه حين عودته لبريطانيا (٢٧) . ويكتب عراي بعد المقابلة لصديقه
سحر له عن الأمل الذي راوده عقب كلمة الشرف التى حصل عليها من
خديوى ، ويصور له اشتياقه للعودة لوطنه لينهى حياته فى ترابه ، ويرى
عده وناسه ، ثم يشير الى أنه اذا تحطمت أمنيته فليس أمامه الا أن
يسر حتى يدثر فى تراب الغربة بجوار أصدقائه ، وأنه فى هذه الحالة
سحكم التاريخ على قضيته برحمة ، وأما فى الدار الآخرة فحكم الله
سدا على الجميع (٢٨) .

وفى ذلك الوقت كان بلنت قد توصل لامكانية الحصول على العفو عن
سريق الضغط الملكى ، ومن غير المستبعد أن يكون أعلم عراي بها واتفقا
على تنفيذها ، وفى مقابلة له بالأدميرال لامبتون Lambton قائد اليخت
سكى — يعرف عراي وأدلى بشهادة لمصلحته وقت المحاكمة ، والتقى
سعى سيلان فى عام ١٨٩٨ ، وصحب ولى العهد فى زيارته الأخيرة
سجيرة — حادثه فى مسألة العفو عن عراي ليقينه من مركزه لدى
سيده وقدرته على السعى لديه لتحقيق المطلوب ، وعاد لامبتون والتقى
سنت بحجة مشاهدة جواده ودار الحديث طويلا عن عراي (٢٩) .
وبدئى أنه نقله للدوق .

ولم يكن معتادا أن تقحم الأسرة المالكة البريطانية نفسها فى الأمور السياسية وتفرض رأيها ، ولكن حدث أن تدخل ولى العهد فى هذه المسألة لدى الخارجية البريطانية (٣٠) . والواقع أن الحكومة البريطانية انسجم موقفها بالتأرجح ، وسلمت كرومر الأمر ، ومما يذكر أنه قد راودت جلادستون نية السماح للمنفيين بالعودة ، ولكنه لم يمكنها (٣١) . وعليه فإن ما أصر عليه الدوق لم يتعارض مع السياسة العامة ، وبالتالي رأت الخارجية البريطانية تحقيق الطلب ، فضغطت على ممثلها فى مصر للتنفيذ (٣٢) .

وعندما أدرك كرومر الموقف أقصى طريقته جانبا ، وقام بتنفيذ تعليمات لندن دون تباطؤ فى الوقت الذى لم يظهر فيه انصياعه واستسلامه ، وإنما حاول اعطاء الانطباع بتعاطفه مع المنفيين ، فيكتب للنندن ليبين مجهوداته لدى الخديوى والحاحه الشديد عليه لعودة عرابى وعلى فهمى ، ثم يسجل « وانى على عكس ما يرى نظار مصر من أنه حتى لو أراد هذان الشخصان القيام بعمل فانهما لا يقويان اذ انتهيا وأصبحا منهوكى القوى » (٣٣) . وينقل جزءا من الحويث الذى جرى بينه وبين عباس حلمى ، وأن الأخير عقد المقارنة من جديد ، وسأل كرومر كيف يمكن السماح لهما بالعودة لمصر ، بينما لم يسمح لجده بها ، فأجابه بأن الوضع يختلف ، ثم عرج الخديو على ما قام به على فهمى تجاه أبيه ، وأنه بعد أن كان يعمل معه انقلب ضده ، ووصفه بالمحرك الأصلي للثورة (٣٤) . ولكن المعتمد البريطانى بعد إعادة استعراض ضعفهما أوضح له أن ولى العهد البريطانى يصير على صدور العفو عنهما ، ومن ثم رضح وسلم بالأمر ، ويعلم كرومر حكومته « لقد وافق الخديو على عودتهما ، ولكن الموافقة كانت على مفض ، وأرجو ابلاغ سموه — أى الدوق — بالنتيجة ، وعند صدور الأمر العالى بالعفو عنهما سأنتقله لردجوى حاكم سيلان » (٣٥) .

ويعود المعتمد البريطانى ليلينغ الخارجية البريطانية بلاقائه مع

رئيس النظار قبل سفره للاسكندرية وخطاره باستعجال الخديوى الذى كان بها وطلبه منه أن يشرح له وجوب تحقيق رغبة الدوق ، ومرة أخرى يؤكد أنه يتعارض مع مصطفى فهمى فى وجود أية خطورة من عودة المنفيين ، لأن الحركة العرابية قد ماتت ، ولن يقوى أى من أتباع عرابى الذين لا يزالون صغار السن على القيام بأى عمل (٣٦) . وبناء على هذه الضغوط صدر الأمر العالى الخديوى فى ٢٤ مايو ١٩٠١ بالترخيص لعرابى ورفيقه بالعودة الى مصر ، وعلى الفور أبلغ كرومر حاكم سيلان مشيرا الى أنهما يمكنهما العودة فى أى وقت يناسبهما ، وأفاد لندن بذلك (٣٧) . وأثارت هذه المسألة مناقشة فى مجلس اللوردات حيث تقدم نيوتن Newton بسؤال لوزير الخارجية يستفسر فيه عن مدى ارتياح الحكومة المصرية لموافقتها على العودة ، اذ كان معلوما أن الموافقة فرضت عليها ، وفى أثناء المناقشة بين اللورد أن عرابى عومل بطريقة كريمة لم يسبق لها مثيل ، ويأمل فى ألا يكون لعودته الى مصر وازع لحدوث أية اضطرابات فيها (٣٨) .

وفى سيلان صدر الاعلان الرسمى بالعفو ، وأبلغ المنفيان به فى ٢٦ مايو ، وكانت برقية بلنت بالتهنئة قد وصلت عرابى قبل صدور الأمر العالى بيوم (٣٩) . وتحقق الحلم ، وأبرق عرابى لردجوى يترجم له شعور الفرح الذى انتابه ، ويطلب منه نقل شكره العميق الى الملك البريطانى وحكومته والخديوى ، ثم يصف حالته المالية المتعسرة ، وأن خمسين جنيها لا تكفيه هو وعائلته بعد أن أصبح له ستة عشر من الأولاد (٤٠) . ويكتب لبرودلى يعلمه بأن مصر التى سيعود اليها ستختلف عما تركها منذ تسعة عشر عاما ، وأن مستوى المعيشة مرتفع فيها عن سيلان ، ويشكو فقره ، وأنه ضاع كل شئ منه وغدا عليل الصحة وضعيف البنية ، وأن العفو ليس عفوا حقيقيا يشمل رد الممتلكات والرتب والنياشين ويحمل صور الاحترام والشرف ، ولكنه يعنى تغيير المكان فقط ، اذ لا يزال الخديوى على موقفه غير الودى (٤١) . ومن ثم يتضح أنه لم يكن راضيا بما منح ، وبعد أن كان يتوسل

، ويتضرع للعودة ، فقدت أهميتها لديه حين حصل عليها وراح يبحث عن استرجاع ما ضاع منه ، وتلك هي طبيعة الانسان • ويكتب مرة أخرى لبرودلى ويطلب منه بذل كل جهده ليزيل عنه المتاعب التى تنتظره ، وأنه يمكنه بمساعدة دفرن الحصول على مورد مالى يناسبه فى ظل الظروف الجديدة (٤٢) •

وبعثت الخارجية البريطانية لكرورم بخصوص استعلام حاكم سيلان عما اذا كان سفر عرابى وعلى فهمى سيكون على نفقة الحكومة المصرية ، وعددت الأفراد المرافقين ، وأدرجت معهم الخدم ، وتفاهم المعتمد البريطانى مع المسئولين ، ووافقت الحكومة على تحمل نفقات السفر ، ورفضت التكفل بمصاريف الخدم ، وكان على فهمى يرغب احضار بعضهم ، ومن الطريف أن كرومر عندما كتب للخارجية البريطانية ليعلمها ، ينتهز الفرصة ليبين أن عرابى لم يعد باشا حيث جرد من رتبه منذ عام ١٨٨٢ وأصبح يدعى أحمد عرابى أفندى ، وجاء ذلك بناء على أنها لقبته بهذا اللقب (٤٣) •

ومضى المنفيان يعدان نفسيهما للسفر ، وغادر على فهمى جنة آدم فى ١٥ أغسطس ، أما عرابى فتأخر عنه شهرا ، وكان رحيله من الجزيرة صورة حية للمكانة التى حصل عليها طوال فترة اقامته • وقبل مغادرته لكاندى أقيمت له الاحتفالات التى اتخذت مظاهر متعددة ، وتعلق احدى الصحف السيلانية بقولها « ان الابتهاج كان عظيما لهذا الرجل الدين الذى وجد وداعا على نطاق واسع نظرا لمركزه وشعبيته » (٤٤) • وقبل سفر عرابى قام الأعضاء البارزين للجماعة الاسلامية بدعوته هو وأولاده وأحفاده لعشاء وداع بالمدرسة الاسلامية للبنين ، وزينت بالأعلام وانبعثت منها الأضواء ، واستقبل عند وصوله استقبالا حافلا ، وحضر الحفل جم غفيرة من المسلمين البارزين ، وألقيت الكلمات التى أشادت بالضيف ومدحته ، وكانت باللغة العربية ، ثم ترجم عرابى خطبته وأثنى على المحتفين به وعظم أهل سيلان ، ومما يذكر أنه بدأها بالشكر لله

والملك بريطانيا وابنه دوق كورنول ويورك وللخديو لنحه حريته ، وعزفت الموسيقى والتف المحتفون حوله ^(٤٥) . وعقب الحفل زار أصدقاءه من الجماعة الاسلامية ، وعندما استقل القطار غاصدا كولومبو ، غصت أرصفة المحطة بالمودعين له ^(٤٦) .

ومثلت الأيام التي قضاها عرابي في كولومبو منذ وصوله اليها في ٤ سبتمبر انتظارا للباخرة الألمانية التي ستقله الى السويس نموذجاً للحب والوفاء والاخلاص الذي يكنه السيلاينيون لتلك الشخصية ، وأقامت المدرسة الحميدية احتفالاً ، حيث استقبله جميع أبناءها — ٢٤٠ تلميذاً — والقائمون عليها ، وعبروا عن أسفهم لتركه الجزيرة ، وتمنوا له مستقبلاً سعيداً ، وقدموا له تهنئة وداعية تناولت مآثره في سيلان ، مكتوبة على ورق مزخرف بالذهب والنقوش الفيروزية اللون ، وبعد قراءتها لفت في حريير أخضر ثم وضعت في أسطوانة من الفضة ، وأعقب ذلك عشاء وداع أقامه له المسلمون ^(٤٧) . وزار عرابي منازل وجهاء كولومبو من الذين ربطتهم به صلة وثيقة ، وعندما حان وقت الرحيل ، اتجه إلى الباخرة ، وودعه على ظهرها العديد من المسلمين ، وقرأوا عليه كلمة كتبت على قرطاس مذهب الحواشي ذي لون لازوردي ، يدعون له فيها بالتوفيق ، ويذكرون مناقبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعل الخير كالحث على انشاء المدارس واهياء علوم الدين بها ، وبعد قراءتها وضعت في صندوق من الفضة ^(٤٨) . وهكذا كان تكريم عرابي ووداعه . ويتبين أنه انفراد بهما دون رفاقه . وهذا أمر طبيعي حيث تمكن من أن يستحوذ على محبة الناس ويجذب الأنظار اليه ويتمتع بتلك الشخصية القوية التي لم ينسلخ منها حتى أثناء نفيه .

وبوصول عرابي الى السويس أبرق الى قائممقام الخديوى طالباً صدور الأمر بنقله مع عائلته الى القاهرة على نفقة الحكومة ، فأجيب الى طلبه ، وكان يحمل معه ١٤٠ طرداً ، نصفها خاص بالأمتعة ، والنصف الآخر غقل أشجار نادرة ، وثلاث بقرات ليس لها مثيل في مصر ، ونقل

ذلك جميعه بصحبته على نفس القطار ^(٤٩) . وارتكب عرابى خطأ حيثما سعد له مندوب صحيفة المقطم — ذات صبغة انجليزية — قبل نزوله من الباخرة فى السويس ، فتحدث معه عن أهالى سيلان وكرمهم له ، وكان من المفروض أن يمضى على هذه الوثيرة ، لكنه أشاد باصلاحات بريطانيا فى مصر ، ثم أظهر ما يعنى أنها صاحبة فضل عليه ، وفى نهاية حديثه دعا للخديو لصدور أمره بالعمفو عنه ^(٥٠) .

وكان هذا التصريح الأداة التى استخدمت ضده ، وتعرض بسببه للنقد ، وفى حديث لبلنت مع محمد عبده أوضح الأخير أنه كان على عرابى التأكد مما قاله قبل أن ييوح به ، لأن ما ذكره سبب له المتاعب ^(٥١) . والواقع أن فترة التسع عشرة سنة غيرت شكل علاقته ببريطانيا ، فأصبحت لها السمة التى تختلف عن فترة توليه زعامة الثورة ، فعقب وصوله الى سيلان يكتب لصديقه أحمد رفعت يقول « لا يهمنى شىء سوى تحسين حال الأمة المصرية ، وذلك هو كحل لعدالة الحكومة الانجليزية ، وانى واثق بأمانتهم كل الوثوق » ^(٥٢) . وفى خطاب له الى برودلى يذكر « انى مترقب لما تأتى به الحكومة الانجليزية من الاصلاح فى مصر » ^(٥٣) . اذن فالاعتقاد بذلك سيطر عليه ، ومن ثم فان ما أقدمت عليه السياسة البريطانية بهدف خدمة مصلحتها أولا وأخيرا ، اعتبره لصالح مصر مما قلل من شأنه .

وعاد عرابى الى القاهرة فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠١ ، ورغم أنه كان هناك تكتم شديد ، الا أن الناس ودعته فى محطة السويس واستقبلته على محطتى الزقازيق وبناها ^(٥٤) . أما عن وصوله لمحطة مصر ، فيبين كرومر أنه حضر عدد من الجمهور ليشهد قدومه ، وحدثت هتافات قليلة وتصفيق ، ولكن لم تقم مظاهرة من أى نوع ، وجندت الصحف المعارضة له لكتابة المقالات التى تتهمه بأنه جلب الاحتلال البريطانى لمصر ^(٥٥) . ورصدت على الفور تحركاته ، ورفعت لدار المعتمد البريطانى ، وقبـد ساد الاعتقاد بأنه سينزوى جانبا ، ولكن رد فعل وصوله كان بينا وعكس

المتوقع ، فيسجل أحد التقارير « منذ عودته ومنزله لا يخلو من الزوار . وبخاصة الفلاحون ، وأغلبهم يمثل الطبقة الوسطى ، وأيضا يحضر اليه بعض الباشوات ، وعندما يؤدي الصلاة في مسجد السيدة زينب . يمثل عن آخره ، ويحضر آلاف الناس لتحيته ، ويقبلون يديه وملابسه . وكان الازدحام حوله شديدا مما تعذر معه على البوليس حفظ النظام بخلاف استقباله بالمحطة عند وصوله . . . انه منذ كان بالمنفى وقبلها وحتى الآن يعتبر نفسه محامى الطبقة الدنيا والطبقة الوسطى والعامل على التحرير من الباشوات الاقطاعيين والأجانب ، ويسعده أن يرى نفسه له شخصية أمام الرأي العام ، وهذا يجعل الخديو يغار منه . وهذه الغيرة واضحة ضده في الصحافة الموالية للقصر المؤيدة لمصطفى كامل وحزبه ، وأن علماء الأزهر ينادون بضرورة وقف الزيارات له حتى لا تؤدي لسوء العاقبة كما حدث من قبل » (٥٦) .

وخدم هذا الوضع التخطيط البريطانى : فيذكر التقرير السابق أنه إبان المقابلات التى أجراها عرابى فى مدة أربعة أيام عقب وصوله . كان يمتدح معاملة البريطانيين له ، وكيف أنهم يحترمون جميع الأديان . وبالتالي بدا نصيرا لهم ضد مناوئتهم : حتى ان التقرير ينتهى الى « لا يستبعد أن يكون لعرابى بعد أن أصبح صديقا للانجليز شأن قد يظهر فيما بعد ضد الخديو وأتباعه من معارضى الصحافة والحزب الوطنى » (٥٧) .

ولم تنجح تلك الخطة اذ سرعان ما انفض الناس من حوله . وكما هو معروف عن طبيعة الشعب المصرى ، فان العاطفة تجد المكانة لديه . فرغم مرور تلك السنوات الطويلة ، الا أن صورة القائد استمرت فى الخيال ، ولهذا كان الاندفاع اليه دون وعى خاصة من العامة . ولكن بعد هبوط تلك الجذوة الوقتية ، واشتعال الحملات التى جندها الحزب الوطنى للقضاء عليه مستغلا شكل العلاقة التى ربطته بالانجليز فجعلها سيفا مسلطا على رقبته ، جاءت النهاية وأثمرت المجهودات عن القطيعة

له ، للدرجة التي اعتبر برودلى أن عودته لوطنه كانت خطأ ، وقارن بين وجوده في جنة آدم وما وصلت إليه حالته في مصر (٥٨) .

وهذا ما كان يتوقعه بلنت وقت صدور العفو ، اذ سجل في يومياته « جاء العفو متأخرا جدا ، وسيجد عرابي أن العالم خطأ سريعا أثناء غيابه ، وأن الحزب الوطنى اتبع خطوطا جديدة لا تتفق معه » (٥٩) . وعاش باقى أيامه يستجدى الخديو وحكومته تارة ، والملك البريطانى وحكومته تارة أخرى فى منح حقوقه المدنية ورد أملاكه ورفع معاشه ، ولم يستجب لأى من مطالبه (٦٠) . وهكذا خرج عرابي من جنة آدم وهو على يقين أن جنة مصر التي يتوق ليدخلها سوف ينعم بها ، ولكن ليس كل ما يمتناه المرء يدركه . وبعد اجتياز طريق الخلاص الوعر والتغلب على العقبات التي اعترضته وذلك الثمن الذي دفع غاليا ، لم يكن هناك شيء في المقابل .

هوامش الفصل الرابع

- (1) Blunt : My Diaries, Part I, pp. 219, 223.
- (2) Broadley : Op. Cit., Vol. III, May 17, 20, 1897, F.O. 78/5176, Cromer — Salisbury, Cairo, June 10, 1897, No. 85.
- (3) F.O. 78, Op. Cit., Kandy, May 20, 1897.
(٤) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ .
- (5) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — Salisbury, Cairo, June 10, 1897, No. 85.
- (6) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Oct. 5, 1897.
- (7) Ibid, Eastern Department, June 17, 1897.
- (8) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, 27, 1898.
- (9) Ibid, F.O — Cromer, F.O, Jan. 13, 1899, No. 8.
(١٠) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ .
- (11) F.O. 78, Op Cit., Cromer — F.O, Cairo, Jan. 25, 1899, No. 27, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 25, 1899, Downing Street, Feb. 10, 1899.
- (12) Ibid, Colonial Secretary Office, Colombo, Jan. 31, 1899, W Rigeway — Colonial Office, Ceylon, Feb. 20, 1899, 1899, No. 47.
- (13) Ibid, Governor of Ceylon, Nuwara Eliya, April 18, 1899, No. 139, keyt's Report, kandy, April 7, 1899, Hayman's Report, kandy, April 6, 1899, Allanperiy, Office of the Principal Civil Medical Officer, Colombo, April 8, 1899.
- (14) Ibid, Governor of Ceylon, Nuwara Eliya, April 18, 1899, No. 139, keyt and Craib's Report, Kandy, April 7, 1899.
- (15) Ibid, Walker — Chamberlain, Colombo, Oct. 11, 1899, keyt's Report, Sept. 12, 1899.

(16) Ibid, Downing Street, Nov. 2, 1899.

(17) Ibid, Ridgeway, Colombo, March 18, 1899, No. 102,
Perry's Report March 16, 1899.

عكست أشعار محمود سامي مرارة حياته في المنفى ، فامتلات بحبنة
للعودة الى وطنه ، الذي صورته بجنة دانية القطوف عبقة الشذى ، أيضا
سجلت شوقه لأهله وناسه ومعاناته من الفراق والغربة والأوجاع ، وشكواه
من الزمن وغدره ونفاقه وظلمه ، كما ترجمت احساسه بأن المخلصين للوطن
مضطهدون وأن الشرفاء يقاومون وتنزل بهم العقوبة ، كذلك اوضحت تخاذله
وانقلابه على الثورة ورجالها ، محاولا التنصل من تبعاتها ، مبرنا نفسه
من أحداثها ، مكيلا التهم لاتباعها ، مبعدا ومنكرا أى مطامع له كانت من
ورائها .

(18) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, May 30, 1899.

(19) Ibid, Cromer — Salisbury, Cairo, July 10, 1899.

(20) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, July 12, 1899.

(٢١) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤١ ، رئاسة مجلس النظار ،
قلم عربى ، أمر عال فى ١٢ يوليو ١٨٩٩ .

(22) F.O. 78, Op. Cit., Governor Of Ceylon, Kandy, July 31,
1899.

خطاب محمود سامي مؤرخ فى ٢٠ يوليو ١٨٩٩ ، ومما يذكر ان الخديو
أصدر أمره لرئاسة مجلس النظار فى ١٧ مايو ١٩٠٠ بمنحه الحقوق المدنية
وجواز امتلاكه ، وردت اليه أملاكه الموقوفة ، وكان الوحيد من بين المنفيين
فى جنة آثم الذى نال رضا الخديو . محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤٢ .

(23) Ibid, Colonial Secretary Office, Colombo, July 15, 1899.

(24) Blunt : My Diaries, Part I, April 2, 1900, p. 363.

(25) Broadley : Op. Cit., Vol. III.

خطاب من على فهمى الى برودلى فى ٣ مارس ١٩٠٠ ، خطاب من عربى
الى برودلى فى ٨ مايو ، ٢٩ نوفمبر ١٩٠٠ .

(26) Ibid, The Daily Graphic, May 27; 1901.

(27) Ibid, Bath Herald, Oct. 5, 1911, Blunt : My Diaries, Part II, May 25, 1901.

أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٧٩ .

(28) Broadley : Op. Cit., Vol. III, The Daily Graphic, May 27, 1901.

(29) Blunt : My Diaries, Part II, March 16, Oct. 26, 1901, pp. 421, 428.

(30) Ibid, Oct. 26, 1901, p. 428.

(31) Ibid, May 25, 1901, 422.

(32) Ibid, Oct. 26, 1901, 428.

(33) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — F.O, Cairo, May 20, 1901, No. 46.

(34) Ibid Cairo, May 23, 1901, No. 56.

(35) Ibid, Cairo, May 20, 1901, No. 46.

(36) Ibid, Cairo, May 23, 1901, No. 56.

(37) Ibid, Cromer — Governor Of Ceylon, Cairo, May 25, 1901, No. 48, Cromer — Lansdowne, Cairo, May 25, 1901, No. 48.

(38) Broadley : Op. Cit., Vol. III, No. 665.

(39) Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 26, 1901.

(40) Broadley : Op. Cit., Vol. III,

تقع أعمارهم بين الثالثة والثمانية والثلاثين .

(41) Ibid, Arabi — Broadley, Kandy, June 14, 1901, No. 660.

بالإضافة الى مرض الروماتيزم الذي كان يعاني منه عرابي ، فقد أصيب بضعف بصره .

(42) Ibid, Kandy, Sept. 3, 1901.

(43) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Cairo, F.O, June 28, 1901, No 120, Cromer — F.O, Cairo, July 4, 1901, No. 81.

كان عرابى يصحطب زوجته وسبعاً من أولاده وبناته وحفيدين .

(44) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Ceylon Standard, Sept. 16, 1901.

مما يذكر أن منزل عرابى تحول في عام ١٩٨١ الى متحف يقصده السائحون .

(45) Ibid.

(٤٦) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٧٩ .

(47) Broadley : Op. Cit., Vol. .III, Ceylon Standard, Sept. 16, 1901.

أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٠١ .

(٤٨) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٩٩ ، ٧٠٠ .

(٤٩) محافظ الثورة العربية ، بحفظة ٤٢ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٠١ ، المقطم ، عدد ١٣٨٠٤ في ٣٠ سبتمبر ١٩٠١ .

(٥٠) المقطم ، العدد المذكور ،

Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 26, 1901, p. 428.

مما يسجل أنه وأصل التصريح بأنه مدين بالشكر للمستولين البريطانيين خاصة ولى العهد وكرومر .

(51) Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 24, 1901, p. 426.

(52) Broadley : Op. Cit., Vol. II,

خطاب من عرابى الى أحمد رفعت — كان سكرتيراً لمجلس النظار في عهد نظارة محمود سامى — في ٨ جمادى الآخر ١٣٠٠ (١٨٨٣) .

(53) Ibid, vol. III,

خطاب من عرابى لبرودلى في ٢٢ ديسمبر ١٨٨٥ . لم يكن عرابى وحده الذى فترت عزيمته ووهنت قوته وذلت نفسه وانطبعت عليه سمة الخضوع ،

— ١١٣ —

فنرى طلبة عصمت — على سبيل المثال — يكتب لبرودلى في ١٧ مايو ١٨٨٣ يقول « أن ملكنا جميعا هو ملك جنابكم واننا جميعا عائلة واحدة » ،

Broadley : Op. Cit., Vol. II.

(٥٤) أحمد عرابي ، المصدر المذكور ، ص ٦٨٠ .

(55) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — F.O., Cairo, Oct 1st, No. 129.

(56) Ibid, Rennel Rodd's Report, Oct. 5, 1901, No. 130.

يذكر بلنت في يومياته أن العامة تبعوه ، وكان الفقراء يقبلون يده عندما يذهب للصلاة في المسجد .

Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 26, 1901, p. 426.

(57) F.O. 78, Op. Cit., Rennell Rodd's Report, Oct. 5, 1901, No. 130.

(58) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Bath Herald, Oct. 5, 1911, No. 729.

(59) Blunt : My Diaries, Part, II, May 25, 1901, p. 422.

(٦٠) محافظ الثورة العربية ، خطاب من عرابي للخديو في ٢٢ ديسمبر ١٩٠٥ ، خطاب من عرابي الى رئيس الوزراء في ٣١ أكتوبر ١٩٠٧ ،

Broadley : Op. Cit., Vol. III, Arabi — King Edward VII,

F.O. 371/451, F.O — Gorst, June 4, 1908, No. 135, Gorst — F.O, Cairo, May 10, 27, 1908, No. 18114, 18223.

الخاتمة

من خلال تتبع هذه السطور ، نتبين أن النهاية المؤلمة للثورة العرابية أطلقت العنان لبريطانيا التي نفذت مخططها للاستيلاء على مصر ، وبعد أن تحقق غرضها لعبت بمحاكمة الثوار وفقا لما تقتضيه مصلحتها ، ونفى عرابى ورفاقه فى احدى جزر مستعمراتها ، ووضع تدخلها قبل رحيلهم فى تسيير الأمور كيفما تشاء داخل مصر ، وتهيئة مناخ العزلة على الأرض الجديدة ، ولكنها لم تتمكن من تطبيق سياسة الحصار على المنفيين، فمنذ اللحظة الأولى لوصولهم تجسدت عواطف السيلانيين — خاصة المسلمون — تجاههم ، وهنا لابد من الإشارة دون تحيز بأن الاهتمام كان منصبا على عرابى الذى ارتبط هو الآخر بهم ، والواقع أنه نال شعبية كبيرة ، اذ سبقته الى جنة آدم وقفته وسيرته ويطولته وتحدياته ، وشدد المسؤولون البريطانيون الرقابة بأنواعها على المنفيين ، فأصبحوا على دراية وبينة بجميع تحركاتهم • والواقع أن عرابى ورفاقه فى هذه الفترة اتسموا بصفات لم تكن فيهم قبل النفى ، فقد استسلموا للأمر الواقع ، ونفذوا ما هو مطلوب منهم ، وتملكهم اليأس ، فرحوا يسبحون بحمد بريطانيا ويثنون عليها ويشيدون بها منذ انقاذها لرقابهم ، ورأوا أن بيدها تحسين ظروفهم وخاصة المالية ، وتحقيق رغباتهم ونفلهم الى أماكن تتلاءم مع صحتهم العلية ، كما أيقنوا أنها القادرة على الصفع عنهم وعودتهم الى وطنهم ، ومن هذا المنطلق جرت الاتصالات مع بعض من ظنوا أن بيدهم الحل والعقد فى لندن •

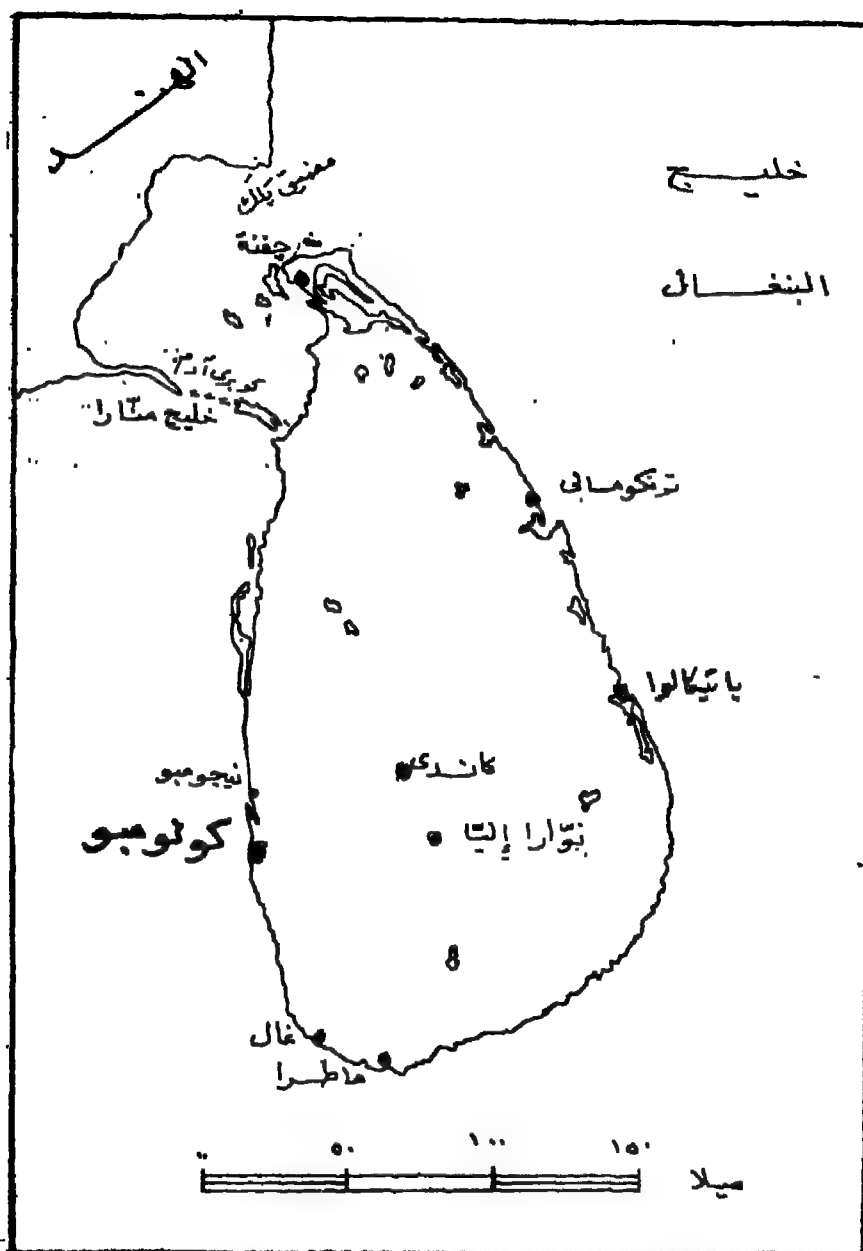
والحقيقة أن الظروف الصعبة التى عاشها المنفيون من احباط نتيجة فشل ثورتهم ، ومناخ أضرهم وأودى بحياة البعض منهم ، وضيق ذات اليد الذى انعكس على نفسياتهم وأثر فى تصرفاتهم ، كل ذلك ولد

الانشقاق بينهم وصدع ائتلافهم ، لكنهم جميعا اشتركوا فى التطلع لمبارحة المكان ، وكادت الأقلام تجف من المظالم التى دونوها وبعثوا بها الى المسئولين ، وبالرغم من التحقق — سواء فى القاهرة أو لندن — من صحة ما جاء فيها ، الا أن السياسات لعبت بها عوامل متعددة ، فقد رفض كل من توفيق وعباس حلمى وحكومتيهما تحقيق أى مطلب للمنفيين ، والأسباب معروفة ، والمعتمد البريطانى كان هو الآخر يأبى بشدة اطلاق سراحهم وان تخلل هذا الخط بعض المنحنيات نتيجة لاعتبارات خاصة ، والخارجية البريطانية مع سماعها لمطالبهم لم تتخذ موقفا حاسما ، فبينما تتعطف اتجاهاهم بهدف الاستئثار بهم وكسب صداقتهم ومحاولة منها لتجنب المعارضة فى البرلمان وخارجه خاصة عندما يسقط أحدهم ، فانها تسبح مع تيار الرفض أحيانا أخرى حينما تتغلب عليها سطوة السيطرة وتسلم الزمام لمثلها .

وبالرغم من صدور العفو عن اثنين من المنفيين نتيجة المساعى المكثفة ، كان الاصرار على استمرار عرابى فى المنفى ، مما يؤكد أن الخشية من عودته مثلت حاجزا قويا حال دون التحقيق ، ولم يعرج الموت عليه كما حدث مع ثلاثة من رفاقه ، وانما استمر يواصل محاولاته من أجل العودة ، وكان مؤمنا أن فتاح خلاصه فى لندن ، وهذا ما انتهى اليه أمره ، فصدر العفو له ولرفيقه على فهمى ، واتخذت الاحتياطات من أجل ألا تكون لعرابى قائمة فى مصر ، وساعدت الحركة الوطنية القائمة على ذلك ، ولم تثمر النتائج الأولى لهذه السياسة حيث كان لا يزال فى الوجدان ، هذا بالاضافة الى الاحساس بالرأفة التى غمرت الناس تجاهه لمعاناته وتحمله الغربة وتذوقه العذاب ، لكن مع السمة التى التصقت به منذ سفره فى تودده لبريطانيا ، وظهرت عليه واضحة عقب عودته ، تحولوا عنه مما أفقده الكثير .

— ١١٩ —

وعلى أية حال فإن سنوات النفي الطويلة قد قامت بدور ايجابي
وفعال ازاء هؤلاء الرجال الذين سجل لهم التاريخ المواقف المشهودة
أثناء ثورتهم ، والمواقف الضعيفة ابان تأديتهم للعقوبة التي فرضت
عليهم ، ولكن يجب أن يوضع في الاعتبار وجوب مراعاة الظروف الصعبة
التي مروا بها ، وهي من القوة بحيث تمكنت منهم ، وفي نفس الوقت
هانهم اذا كانوا واجهوها بالتكاتف والتعاون والموقف الموحد ورفض
الاستسلام والتمسك بالمبادئ التي قاموا بثورتهم من أجلها ، لتغيرت
الأوضاع ولأصبحوا في عداد شهداء الوطنية .



جزيرة سيلان
(سري لانكا حائيا)

المصكادر

أولا - الوثائق غير المنشورة :

(أ) العربية :

١ - المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة •

• محافظ الثورة العربية ، محفظة ٤١ ، محفظة ٤٢ •

٢ - المحفوظة بالهيئة العامة للكتاب (قسم المخطوطات) •

• رسالة من عبد الله أفندى نديم الى صديقه أحمد عرابى
باشا •

(ب) الأجنبية :

١ - المحفوظة بدار المحفوظات العامة بانجلترا •

Public Record Office, kew, Surrey, England.

1. F.O. 78, Turkey Egypt) Egyptian Exiles in Ceylon, Arabi
and Companions :

— Vol. 4267 (1882 - 1883).

— Vol. 4268 (1884 — 1889).

— Vol. 4589 (1890 — 1894).

— Vol. 5176 (1895 — 1901).

ii F.O. 78, Turkey (Egypt).

— Vol. 3589, Domestic Various (Jan, Feb. 1883).

— Vol. 4966, Diplomatic Various (July — Oct. 1898).

iii F.O 371, Egypt 1908 :

— Vol. 451.

— ١٢٤ —

٢ — المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة •

• الأرشيف النمساوى ، محفظة ١٤ ، محفظة ١٥ •

• مجموعة برودلى •

Broadley : The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha (1882-1902), Vols. I, II, III,

وضمت كتابه الذى حمل عنوان :

How We Defended Arabi And His Friends.

ثانيا — الوثائق المنشورة :

خطابات منشورة بالكتب الآتية :

— Blunt, W.S. : I. Secret History of the English Occupation of Egypt, Second Edition, London, 1907.

II. Gordon At Khartoum, London, 1911.

— Chaillé-Long-Bey : Les trois prophètes : Le Mahdi-Gordon, Arabi, Paris, 1886.

— Ninet, J. : Arabi Pacha, Paris 1884.

ثالثا — المذكرات الشخصية :

(١) المخطوطة :

• أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة

المصرية المشهورة بالثورة العرابية عام ١٩٢٨ ، ١٢٩٩ هـ

الموافق ١٨٨١ ، ١٨٨٢ م ، الجزء الثانى (محفوظ بدار

الوثائق القومية بالقلعة) •

(ب) المنشورة :

— Blunt, W.S. : My Diaries (1888 — 1914), First Published in two Volumes 1919, 1920.

— ١٢٥ —

رابعاً - الدوريات :

(١) العربية :

• الأهرام ، ١٩٢٣

• المقطم ، ١٩٠١

(ب) الأجنبية :

- Bath Herald, 1911.
- Budport News, 1911.
- Ceylon Standard, 1901.
- The Daily Graphic, 1901.
- The Graphic, 1910.
- The out Look, 1911.
- Pall Mall Gazette, 1892.
- The Times of Ceylon, 1887.

المحتويات

صفحة	
٥	المقدمة
٩	الفصل الأول : الطريق الى المنفى
٢٩	الفصل الثاني : العلاقة مع بريطانيا
٥٧	الفصل الثالث : الحياة في جنة آدم
٩٣	الفصل الرابع : الخلاص
١١٥	الخاتمة
١٣٠	الخريطة
١٣١	المصادر

مطبعة الجبل اوى
٩٥ شارع الترمه البواقيته

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٨ / ١٩٨٧

تعددت الدراسات الخاصة بالثورة العرابية ،
وكان لمؤلفة هذا الكتاب مساهمة جادة نشرت
منذ أعوام ، كما صدرت مؤلفات أخرى بمناسبة
مرور مائة عام على تلك الثورة ، غير أن أحدا
لم يهتم بالقاء الأضواء على حياة عرابي ورفاقه
فى المنفى • وهذا الكتاب يقدم لأول مرة استنادا
الى الوثائق البريطانية والمصرية رؤية لهذه
الحياة ، ويصور أبعادها ، ويسجل المساعي التى
بذلت للعودة الى أرض الوطن حتى جاء الخلاص •

٢٥٥٠

٣/٠٠٨٨٤